

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

المجلد الاول	تونس في صفر عام ١٣٥٦ وفي افريل عام ١٩٣٧	الجزء الثامن

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

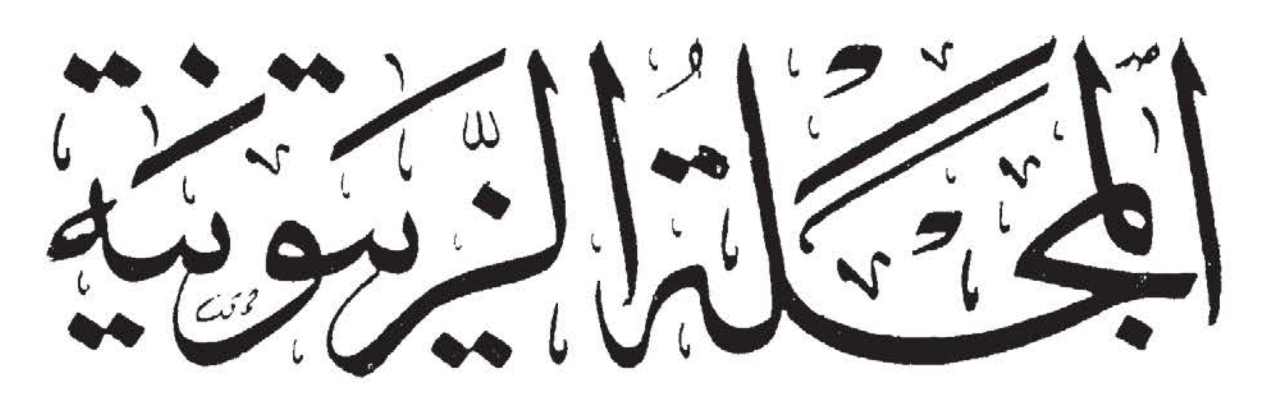
الجزء الثامن | المجلد الاول

فهرس العدد

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« بلاد شمال افريقيا « ٣٠
« في الخارج « ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه



مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور

الجزء الثامن	تونس في صفر عام ١٣٥٦ وفي افريل عام ١٩٣٧	المجلد الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

سيف الاسلام يعطى لحامي الاسلام

فما هو هذا السيف ؟ ومن هو هذا الحامي ؟

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

بقلم رئيس التحرير

ان المسلمين مهما ضعف سلطانهم . وتضعضعت شوكتهم . وقل نفوذهم فان قوة الاسلام لا تزال مبثوثة في نفوسهم . وعزته لا تزال شعارا لهم . وروحه التي بعثها فيهم لا تزال حية نامية لا تزيدها الحوادث والمصائب الا قوة وصلابة . ولا تكسبها تقلبات الدهر ونوائبه الاشدة أمل فيما وعد الله به عباده المؤمنين . فكل من يحاول اطفاء هذا النور وطمس هذا الشعور فانما يحاول العبث الذي لا يرجع منه بطائل . ومن اجل ذلك ترى المسلم الصادق في ايمانه وعقيدته يتسامح في كل شيء الا في العبث بدينه

والاستهزاء به • فهو عند ذلك ينقلب اسداً هصوراً لا يصده ضاد عن مقاومة من يريد العبث والاستهزاء بدينه مهما كان سلاحه ومهما كانت قوته • فلا يتعجب حينئذ من اهتزاز المسلمين في جميع اقطار الارض مما وقع في مدينة طرابلس الغرب عند ما زارها زعيم ايطاليا السنيور موسوليني في اوائل شهر المحرم المنصرم من العبث والاستهزاء بكلمة الاسلام • فقد علم القراء تفاصيل تلك الرحلة وما جرى فيها من مظاهر الاجلال والتعظيم المتجاوزين حد الوصف • وما كان لنا ان نتعرض لهذه المظاهر التي من شانها ان تقع لكل رجل عظيم يزور بلاداً تحت امرته ونفوذه • ويتسيطر عليها تسيطر الامير على رعيته فذلك امر معتاد لاغرابة فيه • وانما الذي دعانا للتعرض لهذه الرحلة هو الناحية الدينية الاسلامية فقد كان من جملة ماوقع في ذلك الاحتفال ان اهدي للدوتشي سيف اطلقوا عليه (سيف الاسلام) ثم لقبوه بعد ذلك او لقب نفسه بـ(حامي الاسلام) فيالله لهذا الاسلام الذي وصل به ضعف بنيه وتغلب الغير عليهم الى ان يعبث به الى هذا الحد • تخرج عائلة قرملي بطرابلس سيفا من مخلفات أجدادها لم يشهر ولايوما واحداً في سبيل الدفاع عن الحق واعلاء كلمة الله • ولم يستعمل ولامرة واحدة في أسترداد ما اغتصب من حقوق المسلمين • ورد غائلة العدوان عنهم • وليست له ادنى قيمة تاريخية اكثر من كونه سيفا كسائر السيوف التي يملكها الافراد او تباع في محلات التجارة. ثم يوصف لمحض الرياء والتزلف بانه (سيف الاسلام) ثم يقدم للدوتشي في محفل رهيب فيحمله بيده ويلوح به في الفضاء متفاخراً مختالا • متظاهراً بان الاسلام قد صار في قبضته • مهلا ايها المسلمون ان الاسلام اليوم لا سيف له. نقول هذا والاسف يغمرنا من كل جانب. اذ لو كان للاسلام سيف لكان له من القوة والعزة مايكون حافظا له عن ان يقع في ايدي من لا يرقبون في مؤمن إلا ولاذمة • ولا يحملون لابنائه رحمة ولا عطفا • ولو وقع الاكتفاء بهذا لكان في الامر بعض تسلية ولكن وقع التجاوز الى ما هو اشد وانكى وهو وصف الدوتشي بانه (حامي الاسلام) فيالله لهذا الاسلام الذي وصل به ضعف بنيه وتغلب الغير عليهم الى ان يعبث به الى هذا الحد • أين المؤسس الاعظم لهذه الشريعة صلى الله عليه وسلم ؟ أين خلفاؤه الراشدون؟ أين الخلفاء من بني امية وبني العباس في المشرق والمغرب؟ أين ملوك الاسلام على اختلاف العصور والازمان؟ أينكم يا خلفاء بني عثمان • يامن رفعتم شأن الاسلام قرونا متطاولة ودافعتم عنه باموالكم وجنودكم وكنتم

في صراع متواصل ونزاع لاينقطع مع دول تألبت عليكم واحكمت ضع البرامج لمحق اسمكم من الوجود • فكنتم متغلبين حينا ومغلوبين احياناً • ثم جاء رجل من صغار جندكم واتباعكم تربى في نعمائكم • وارتفع ذكره تحت لوائكم • فشفى صدور اعدائكم • ونكل بكم اشد تنكيل • وانكر جميلكم • وطمس مآثركم وشتت شملكم وشرد خليفتكم وخلفكم في انحاء الارض فانهار بذلك آخر معقل من معاقل الاسلام • واندك آخر حصن من حصونه • واضمحلت تلك القوة المعنوية • وذلك الجلال الالآهي العظيم الذي كان يحس به كل مسلم وكان يتجدد ذكره في كل يوم جمعة عند ما تضج جوامع المسلمين بدعاء الايمة للخليفة الاعظم • أين هؤلاء جميعا ؟

اتى على الكل امر لا مرد له	حتى قضوا فكان القوم ما كانوا!
وصار ماكان من ملك ومن ملك	كما حكى عن خيال الطيف وسنان
فجائع الدهر انواع منوعة	وللزمان مسرات واحزان
وللحوادث سلوان يسهلها	وما لما حل بالاسلام سلوان

اللهم لا حامي للاسلام الا انت تباركت قدرتك وجلت عظمتك •

ما اكبره من وصف • وما اروعها من كلمة: (حماية الاسلام) • ان للاسلام ربا يحميه • وابناء لو عملوا بما وضعه لهم الاسلام من قواعد • وماسنه لهم من شرائع ولو دخل الاسلام في قلوبهم حقيقة وتغلغل في ضمائرهم لبقيت للاسلام صولته ومهابته • ولبقي اسمه تخر له الجبابرة وتهتز عند ذكره القياصرة • ولكنهم فرطوا في جميع ماجاء به الاسلام من قواعد لتنظيم الحياة • واهملوا ما احتوى عليه من المبادي التي تكفل سعادة الحياة بنوعيها وتعلقوا بالاسلام من ناحية العقيدة • وتباعدوا عنه من ناحية العمل • فحقت عليهم كلمة العذاب (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) • ان المسلمين لم يبلغ عددهم في وقت من الاوقات مثلما بلغ في زماننا هذا • وانهم لم يصلوا فيماسبق الى درجة من الضعف والانحلال مثل التي وصلوا اليها اليوم • فماهو السر في ذلك؟ السر في ذلك ظاهر • وهو ان الرقي الذي وصل اليه المسلمون فيما سبق • والعزة القعساء التي رفعوا بها رؤوسهم الى السماء ودوخوا بها العوالم لم يكن سببها كثرة عددهم ولا قوة عددهم • وانما سببها قوة العقيدة ورسوخ الايمان • والسير في كل الحركات والاعمال على مقتضى شريعة الاسلام • فسادوا بسبب ذلك • ورفعوا كلمة الله في جميع الاقطار

وملؤ الدنيا عدلا واماناً . وفتحوا من الممالك بذلك العدد القليل وفي ذلك الزمن القصير ماترك افكار الباحثين عن التاريخ في حيرة للوصول الى سبب ذلك وعلته . ثم خلف من بعدهم خلف ضعفت فيهم قوة الايمان وتركوا العمل بتعاليمه الباهرة وتفشت فيهم المناكر . وانقادوا للشهوات . واستفحلت فيهم الاغراض والاحقاد . وتوجهوا لغير الله . وكفروا بانعم الله . فوصلوا الى ماهم عليه من المذلة والهوان . والتقاطع والتدابر والخذلان . وصاروا عبيداً بعد ان كانوا سادة . ومنقادين بعد ان كانوا قادة :

ورثنا المجد عن اباء صدق اسأنا في ديارهم الصنيعا

اذا لحسب الرفيع تواكلته بناة السوء اوشك أن يضيعا

نعم اوشك ان يضيع حقيقة والا فبماذا نفسر خلع لقب (حامي الاسلام) على زعيم ايطاليا الفاشيستية . ذلك اللقب الذي كنا نعد من المبالغة اطلاقه على خلفاء الاسلام وامرائه ثم نطلقه على رجل بطبيعة عقيدته وجنسيته ومباديه السياسية لايمكن ان يكون حاميا للاسلام . لو كان غرضنا من هذه المقالة ان نتعرض للناحية السياسية لذكرنا القراء بحوادث (الجبل الاخضر) واجلاء الطرابلسيين عن ديارهم وتشريدهم عن اوطانهم . وحشر ثمانين الفا منهم في حضيرة مسيجة بالاسلاك الشائكة . وهتك حرمة الاسلام ودوس المصاحف في المساجد والزوايا فان التاريخ لا ينسى . ولكن ما لنا ولهذه المآسي والتذكير بها . فلعل الدوتشي قد أدرك اليوم خطأً تلك السياسة الهوجاء . وذلك المركب الوعر الذي ركبه من قبل . وأراد ان يتدارك مامضى بالاحسان لاهل طرابلس اولئك العرب الامجاد . وأراد ان يمد لهم يد المساعدة وياخذهم بالرفق واللين . بعد ما رأى ان سياسة الضغط والشدة لا تنتج شيئا . وبعد ما رأى ان الدول الاستعمارية الكبرى قد غيرت سياستها مع الشعوب الاسلامية التي تحت كفالتها وابدت نحوها من العطف والمجاملة وصدق اللهجة ما اقتضته طبيعة الاحوال . بعد ما افادتها تجربة الاعوام الطويلة التي قضتها مع الشعوب الاسلامية : أن المسلمين امة لها من مجادة التاريخ . ورفعة العقيدة وسمو الافكار . والاعتزاز بالنفس ما يستحيل معه اخذهم بالشدة والعنف والقهر والغلبة . وان تلك السياسة لا تجلب الا سوء النية . واستعجال الاحقاد . ونمو البغض في النفوس . بخلاف سياسة الرفق واللين . وفتح ابواب المفاهمة . وحسن الاصغاء لما يقدم من المطالب والاقتراحات . فان ذلك من شانه

أن يزيل تلك الاحقاد كلها٠ ويجعل تلك الامم تعيش مع الشعوب الاسلامية في هناء ورغد عيش

ومراد النفوس احقر من أن تتعادى فيه وان تتفانى

قلنا لعل الدوتشي بعد ما شاهد ذلك كله - وهو من دهاة السياسة - اراد ان يسلك ذلك مع الشعب الطرابلسي المجيد٠ ويؤيد ذلك التصريحات التي أجاب بها زميلنا الاستاذ تيسير ظبيات الكيلاني صاحب مجلة (الجزيرة) التي تصدر بدمشق عن الاسئلة التي القاها عليه٠ فقد كان من جملة تلك التصريحات :(ان الدوتشي سيصدر عفوا عاما عن المبعدين الطرابلسيين والسماح لهم بالعودة الى طرابلس واعادة ممتلكاتهم الا الممتلكات التي حجزت وقدمت للبلديات لتوزيع ايراداتها على الاعمال الانسانية والخيرية٠

ومن جملتها قوله (لقد اعطينا للمسلمين في الحبشة الحرية الدينية الكاملة) والدوتشي بهذا الصنيع الجميل٠ وبهذه السياسة الرشيدة التي أراد ان يسلكها جدير بان يثنى عليه ويشكر كما يشكر كل من كان ظالما فكف عن الظلم٠ او مخطئا فرجع الى الصواب٠ اما كونه يستحق بذلك ان يخلع عليه وصف (حامي الاسلام)٠ فلا٠ فان للاسلام ربا يحميه ويذود عن حماه ويحفظ بنيه٠ وواجب على كل من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ان لا يتلاعب بدينه الى هذا الحد وان يكون له من المروءة وعزة النفس ما يحول بينه وبين جعل الدين آلة يتوصل بها لنيل اغراضه٠ وقضاء شهواته٠ ثم ان استياءنا مما جرى في هذا الاحتفال لم يقف عند هذا٠ ولم ينته بهذه المهزلة٠ بل قد وقفنا على شيء آخر زادنا كمدا وحزنا وهو تصريحات رجال الشرع في طرابلس بخطب تخجل منها المروءة والانسانية والدين٠ فقد وقفنا على خطبتين القى احداهما قاضي طرابلس الشيخ محمود بورخيص٠ والقى الاخرى قاضي زليطن [٢]٠ فاما قاضي طرابلس فانه القى خطبته بين يدي الدوتشي عند ما ذهب الى جامع فرجي بمحضر الايمة والمدرسين ورجال الشرع

وقد افتتحها بقوله (انني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن رجال الشرع الشريف اقدم لكم خير تحية وقلوبنا مفصحة بالولاء والاخلاص٠ والسنتنا لاهجة بالدعاء٠ وعيوننا

---

(٢) نشرت الخطبتان بنصهما الاصلي في جريدة (الزهرة) الغراء في عددها المؤرخ بيوم ١٤ محرم سنة ١٣٥٦

مقصور نظرها عليك لا تبصر غيرك) • فاي شرف واي ايمان يبقى لرجل يصرح بصيغة النصر التي لم يكتف فيها بالمفهوم بل أكدها بالمنطوق فانه قد صرف نظره عن الله • ولم يبق له فيه امل ولا رجاء • وانه حصر امله ورجاءه في عبد من عباده ولو كان من اقوى المسلمين ايمانا واكثرهم نفعا • ثم لم يكتف الشيخ بذلك بل زاد ما هو ابلغ في النكاية فقال (• • • بحيث حق لنا ان نعد انفسنا من السعداء ان نعيش في ظل العلم المثلث اللون المجيد • وتحت حاكم الفاشيزم المبجل السعيد) • ونحن ليس لنا الا ان نقدم تهنئتنا لهذا الشيخ على السعادة التي احاطت به من كل جانب وكان سببها استظلاله بالعلم المثلث • ورضوخه لسيطرة حاكم الفاشيزم) • ثم زاد بعد ذلك قوله :(و انى لنا ان ننسى كل ما ايدت به الاسلام من قول وفعل في عدة مواقفك السياسية الدولية المشهورة فحزت بذلك اجماع اربعمائة مليون من المسلمين على تحبيذ عملك هذا ونلت عطفهم الشديد) • وهذا يعد من الشيخ ازدراء واستهزاء بعموم المسلمين وتقول عليهم ما لم يقولوه وحاشاهم ان يقولوه • وهل من الامانة وحسن الايمان ان تعبر عن فكر اربعمائة مليون فتحكي اجماعهم على تاييدك فيما قلته مع اننا نعلم ان الكثير من مواطنيك ناقمون عليك منتقدون سلوكك • فكيف تبيح لنفسك ان تعبر عن فكرة الف مسلم فضلا عن اربعمائة مليون ثم تذكر الشيخ قول الله تعلى (ادعوني استجب لكم) فختم خطبته - وهو في بيت من بيوت الله لا ينقصه الا الوقوف على المنبر - بالدعاء والابتهال الى الله فقال (فما لنا الا ان نرفع اكف الدعاء الى الله عز وجل ان يديم ايامك نصراً واعتزازاً • وان يزيد على الدوام ايطاليا الفاشيستية قوة وشوكة في العالم) •

ثم توسل الى الله برحمته ان يجيب دعواته فقال: (اللهم استجب دعاءنا هذا برحمتك يا ارحم الراحمين) • ونحن نستعيذ بالله من هذا التلاعب بالدين ومن هذا العبث الذي لم تقع اعيننا على مثله لا من المتقدمين ولا من المتأخرين •

واما قاضي زليطن فانه القى خطبته عند ما زار الدوتشي زاوية سيدي عبد السلام الاسمر رضي الله عنه وكان ذلك بمحضر مشايخ الزاوية وغيرهم • ولم يفته ان يفتتح خطابه بالبسملة لانه من الامور ذات الشان • ثم نوه بشان زيارة الدوتشي لطرابلس وانها تنورت بقدومه وطوق جيدها بشرف تباهي به مدى الازمان • ثم استنتج من زيارته

لهذا الضريح المقدس انه يدل (على مشاركته للمسلمين في تعظيم صاحبه)٠ ولسنا ندري بعد هذا التعظيم هل دخل الدوتشي في الطريقة ووقف قليلا في حلقة الذكر والانشاد وشارك في الميعاد٠ ولعل الشيخ وقع له سهو عن ذكر ذلك٠ ثم نوه بشأن (الثريا البديعة التي اراد الدوتشي تقديمها لتنوير مقام شيخنا وقدوتنا سيدي عبد السلام الاسمر بها) ثم قال (وبوسعي ان أؤكد لك ان اثرها سيتعدى هذه الحجرة وانها ستنير دائما قلوبنا المملوءة بمحبتك لنا وبالاخلاص لايطاليا التي جدد مجدها الباذخ بفكرتك النيرة٠ وعزيمتك الماضية). ونحن نقول ان الشيخ عبد السلام رضي الله عنه لو كان يعلم ان مثل هذا الكلام سيقال عند ضريحه٠ وسينطق به واحد من اتباعه ومريديه لهاجر من بلاد طرابلس واختار ان يموت غريقا في البحر. او غريبا في الصحراء. مايلهج احد بذكره. ولا يهتدي احد الى قبره ثم ختم الشيخ خطابه بكبيرة الكبائر. ووقع في عثرة لا لعالها[1] حيث قال (ونسال الله ان ياخذ بيدك لا تمام هذا الصرح الشامخ. ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون). فكان الشيخ لم يكتف بما وقع فيه سابقا من الترهات والاباطيل. فاراد ان يسجل افظع نوع من انواع الضلال. وهو العبث بكتاب الله فهو يتضرع الى الله ان ياخذ بيد الدوتشي. ثم يطبق عليه آية من القرآن مدعيا انه ممايدخل في عمومها. وهي قوله تعلى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

ونحن نقول: ماكان اغنى هذا الشيخ عن الدخول في هذا المأزق الحرج. وما كان اغناه عن الوقوف هذا الموقف الشائن الذي يحط من كرامة العلم والعلماء ويصيرهم سخرية بين الناس٠ والا فأي داع لتطبيق آيات القرآن في هذا المقام. وتحريفها عن موضعها، وحملها على معنى يعتقد الشيخ نفسه انها مناقضة له، وواردة في نقيضه، أغفل عما ورد من الايات في انذار من يحرفون الكلم عن مواضعه. وعما أعده الله من العقاب لمن يتلاعب بدينه ويتخذه هزؤا وسخرية ؟ وبعد فان هذين الشيخين ـ غفر الله لهما ـ قد اساءا للاربعمائة مليون مسلم بصفة عامة، ولعلماء الدين منهم بصفة خاصة بخروجهما عن الجادة وركوبهما متن الشطط وعدم التأمل في العواقب، والا فانهما قد كانا في حل مما وقعا فيه لو اقتصرا على الترحيب بالضيف وتقديم التحية اليه، من غير هذه المبالغات الفاحشة والاستشهادات

(١) يقال عثرة لالعالها اي عثرة لا مخلص منها ولا يقال صاحبها وهو مثل



المقدمة الرابعة في غاية المفسر من التفسير

(٢)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

فغرض المفسر بيان ما يصل اليه او ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنى ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن او يتوقف عليه فهمه اكمل فهم او يخدم المقصد تفصيلا وتفريعا كما اشرنا اليه في المقدمة الاولى مع اقامة الحجة على ذلك ان كان به خفاء او لتوقع مكابرة من معاند او جاهل. فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك ان يعرف على الاجمال مقاصد القرآن مما جاء لاجله ويعرف اصطلاحه في اطلاق الالفاظ وللتنزيل اصطلاح وعادات وتعرض صاحب الكشاف الى شيء من عادات القرآن في متناثر كلامه في تفسيره. فطرايق المفسرين للقرآن ثلاثة اما الاقتصار على الظاهر من المعنى الاصلي للتركيب مع بيانه وايضاحه وهذا هو الاصل. واما استنباط معان من وراء الظاهر تقتضيها دلالة اللفظ او المقام ولا يجافيها الاستعمال ولا مقصد القرآن وتلك هي مستتبعات

المخجلة. والتساهل بالدين والعبث به. والترفع به عن الابتذال والامتهان، فان للمجاملة عند العقلاء حداً لا تتعداه، ومنطقة لا تتجاوزها، والله تعالى قد جعل العزة لنفسه ولرسوله وللمؤمنين بنص كتابه المبين فكيف يحل لمؤمن ان يتنازل عن هاته المنزلة الرفيعة التي كتبها الله له، وجعله اهلا لها، اللهم انا نسئلك هداية تهدي بها قلوبنا، وتفتح بها بصائرنا، وان تملا نفوسنا من خشيتك ورهبتك، وتعفو عنا بلطفك ورحمتك، اللهم انا لا ننظر الا اليك، ولا نترقب الخير الا منك، ولا نقف الا ببابك. فحقق رجاءنا واسمع نداءنا

(وجعلوا لله شركاء قل سموهم، ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض ام بظاهر من القول، بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد)

محمد المختار بن محمود

التراكيب وهي من خصائص اللغة العربية المبحوث عنها في علم البلاغة ككون التاكيد يدل على انكار المخاطب وكفحوى الخطاب ودلالة الاشارة واحتمال المجاز مع الحقيقة. واما ان يجلب المسايل ويبسطها لمناسبة بينها وبين المعنى اولان زيادة فهم المعنى متوقف عليها او للتوفيق بين المعنى القرآني وبين بعض العلوم مما له تعلق بمقصد من مقاصد التشريع لزيادة تنبيه اليه او لرد مطاعن من يزعم انه ينافيه لا على انها مما هو مراد الله من الآية بل القصد التوسع كما اشرنا اليه في المقدمة الثانية ففي الطريقة الثانية قد فرع العلماء وفصلوا في الاحكام وخصوها بالتاليف الواسعة وكذلك تفاريع الاخلاق والآداب التي اكثر منها حجة الاسلام الغزالي في كتاب الاحياء، فلا يلام المفسر اذا اتى بشيء من تفاريع العلوم مما له خدمة للمقاصد القرآنية وله مزيد تعلق بالامور الاسلامية. كما نفرض ان يفسر قوله تعالى « وكلم الله موسى تكليما » بماذكره المتكلمون في اثبات الكلام النفسي والحجج لذلك والقول في القرآن وما قاله اهل المذاهب في ذلك وكذا ان يفسر قوله تعالى في قصة موسى مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم كما فعل الغزالي وقد قال ابن العربي أنه أملى على هاته القصة ثمانمائة مسألة وكذلك تقرير مسائل من علم التشريع لزيادة بيان قوله تعالى في خلق الانسان « من نطفة ثم من علقة » الآيات فانه راجع الى المقصد وهو مزيد تقرير عظمة القدرة الآلهية. وفي الطريقة الثالثة تجلب مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية اما على ان بعضها يومي اليه معنى الآية ولو بتلويح ما كما يفسر احد قوله تعالى « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها مدخلا ذلك تحت قوله خيرا كثيرا فالحكمة وان كانت علما اصطلاحيا وليس هو تمام المعنى للاية الا ان معنى الآية الاصلي لا يفوت وتفاريع الحكمة تعين عليه وكذلك ان ناخذ من قوله تعالى « كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة ويعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل على ان ذلك تومي اليه الآية ايماء وان بعض مسائل العلوم قد تكون اشد تعلقا بتفسير اي القرآن كما نفرض مسألة كلامية لتقرير دليل قرآني مثل برهان التمانع لتقرير معنى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وكتقرير مسالة المتشابه لتحقيق معنى نحو قوله تعالى « والسماء بنيناها بأيد » فهذا كونه من غايات التفسير واضح وكذا قوله تعالى « او لم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » فان القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين اسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيئة كان قد زاد المقصد خدمة واما على وجه التوفيق بين المعنى القرآني وبين المسائل الصحيحة من العلم حيث يمكن الجمع واما على وجه الاسترواح من الآية كما يؤخذ من قوله تعالى « ويوم نسير الجبال » ان فناء العالم يكون بالزلازل ومن قوله « اذا الشمس كورت » الآية ان نظام الجاذبية يختل عند فناء العالم وشرط كون ذلك مقبولا ان يسلك صاحبه

مسلك الايجاز فلا يجلب الا الخلاصة من ذلك العلم ولا يصير الاستطراد كالغرض المقصود له لئلا يكون كقولهم الشيء بالشيء يذكر . وللعلماء في سلوك هذه الطريقة الثالثة على الاجمال آراء فاما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية وءالاتها وبين المعاني القرآنية ويرون القرآن مشيرا الى كثير منها قال ابن رشد الحفيد في فصل المقال « اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل والسبب في ورود الشرع بظاهر وباطن هو اختلاف نظر الناس وتباين قرائحهم في التصديق . وتخلص الى القول بان بين العلوم الشرعية والفلسفية اتصالا . والى مثل ذلك ذهب قطب الدين محمود الشيرازي في شرح حكمة الاشراق وهذا الغزالي والامام الرازي وجمهور المحققين صنيعهم يقتضي التبسط وتوفيق المسائل العلمية بشرط ان تخرج عن الصلاحية اللفظية فقد ملاوا كتبهم من الاستدلال على المعاني القرآنية بقواعد العلوم الحكمية وغيرها وكذلك فعل الفقهاء في كتب احكام القرآن . وكذلك كان ابن جني والزجاج وابو حيان قد اشبعوا تفاسيرهم من الاستدلال على القواعد العربية ولا شك أن الكلام الصادر من علام الغيوب تعلى وتقدس لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة ولكن معانية تطابق الحقائق وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها اعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت اليه افهام البشر وبمقدار ما ستبلغ اليه ذلك يختلف باختلاف المقامات ويبنى على توفر ءالات الفهم وشرطه ان لا يخرج عما يصلح له اللفظ عربية ولا يبعد عن الظاهر الا بدليل ولا يكون تكلفا بينا ولا خروجا عن المعنى الاصلي حتى لا يكون في ذلك كتفاسير الباطنية واقوال المهوسين

وذهب جماعة منهم الشاطبي انه لا يصح في مسلك الفهم والافهام الا ما يكون عاما بجميع العرب فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه . وقال في المسألة الرابعة من النوع الثاني : ما تقرر من امية الشريعة وانها جارية على مذاهب اهلها وهم العرب تنبني عليه قواعد منها ان كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد فاضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين او المتأخرين من علوم الطبيعات والتعاليم والمنطق وعلم الحروف واشباهها وهذا اذا عرضناه على ما تقدم لم يصح فان السلف الصالح كانوا اعلم بالقرآن وبعلومه وما اودع فيه ولم يبلغنا انه تكلم احد منهم في شيء من هذا سوى ما ثبت فيه من احكام التكاليف واحكام الآخرة نعم تضمن علوما من جنس علوم العرب وما هو على معهودها مما يتعجب منه أولو الالباب ولا تبلغه ادراكات العقول الراجحة الـخ » وهذا مبني على ما اسسه من كون القرآن لما كان خطابا للاميين وهم العرب فانما يعتمد في مسلك فهمه وافهامه على مقدرتهم وطاقتهم وان الشريعة امية وهو اساس واه وباطل لوجوه احدها ان ما بناه عليه يقتضي ان القرآن لم يقصد منه انتقال العرب من حال الى حال وهذا باطل لما قدمناه قال تعالى « تلك من انباء

الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا » الثاني ان مقاصد القرآن راجعة لعموم الدعوة وهو معجزة باقية فلا بد ان يكون فيه ما يصلح لان تتناوله افهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم العالية . الثالث ان السلف قالوا انه لا تنقضي عجائبه يعنون معانيه ولو كان كما قال الشاطبي لانقضت عجائبه بانحصار انواع معانيه . الرابع ان من تمام اعجازه ان يتضمن من المعاني مع ايجاز لفظه ما لم تف به الاسفار المتكاثرة . الخامس ان مقدار افهام المخاطبين به ابتداء لا يقتضي الا ان يكون المعنى الاصلي مفهوما لديهم . فاما ما زاد على المعاني الاساسية فقد يتهيأ لفهمه اقوام وتحجب عنه اقوام . السادس ان عدم تكلم السلف ان كان فيما ليس راجعا لمقاصده فنحن نساعد عليه وان كان فيما يرجع لمقاصده فلا نسلم وقوفهم فيها عند ظواهر الآيات بل قد بينوا وفصلوا وفرعوا فكان ذلك في بعض علوم عنوا بها ولا يمنع ذلك ان نقفي على آثارهم في علوم اخرى راجعة لخدمة المقاصد القرآنية او لبيان سعة العلوم الاسلامية اما ما وراء ذلك فان كان ذكره لايضاح المعنى فذلك تابع للتفسير ايضا لان العلوم العقلية انما تبحث عن احوال الاشياء على ما هي عليه وان كان فيما زاد على ذلك فذلك ليس من التفسير ولكنه تكملة للمباحث العلمية واستطراد في العلم لمناسبة التفسير ليكون متعاطي التفسير اوسع قريحة في العلوم

وذهب ابن العربي في العواصم الى انكار التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية ولم يتكلم على غير هاته العلوم وذلك على عادته في تحقيرها لاجل ماخولطت به من الضلالات وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء والعقلاء وكذلك كان شان فقهاء الاندلس في عصره . وسكت عن غيرها وذكر في مواضع انه أملى خمسمائة مسألة على سورة نوح وثمانمائة على قصة موسى والخضر فدل على انه لا يمنع التفريع والتوفيق في غير العلوم الفلسفية . وأنا انصر اهل الرأي الاول واقول ان علاقة العلوم بالقرآن على اربعة مراتب الاولى علوم تضمنها القرآن كاخبار الانبياء والامم وتهذيب الاخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد والأصول والعربية والبلاغة . الثانية علوم تزيد المفسر علما كالحكمة والهيئة وخواص المخلوقات . الثالثة علوم اشار اليها او جاءت مؤيدة له كعلم طبقات الارض والطب والمنطق . الرابعة علوم لا علاقة لها به اما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا . واما لانها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي .



الزكاة

قال الله تعلى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

نزلت الآية الكريمة في السنة الثانية من الهجرة النبوية وهي السنة التي شعشع فيها نور الاسلام بما تتابع فيها من نزول ءايات الاحكام وذكر المفسرون في سبب نزولها وارتباطها بالآية التي قبلها وهي قوله تعلى(وءاخرون اعترفوا بذنبهم خلطوا عملا صالحا وءاخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم) ان ثلاثة من الانفار الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهم ابو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام لما ندموا عما وقع منهم أوثقوا انفسهم على سواري المسجد وأقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم النبيء صلى الله عليه وسلم من غزوته الى المدينة ودخل المسجد ورءاهم على تلك الحالة سأل عنهم واخبر بخبرهم فقال وانا أقسم اني لا احلهم حتى أومر فيهم فنزل قوله تعلى وآخرون اعترفوا بذنبهم الآية فأطلقهم وغذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق بها وطهرنا فقال صلى الله عليه وسلم ما أمرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل قوله تعلى خذمن اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الآية فاخذ منهم صلى الله عليه وسلم بعض اموالهم وتصدق بها واستدل اكثر الفقهاء بالاية المذكورة على ايجاب الزكاة ولا منافات بين عموم الحكم وخصوص السبب وسميت هاته الصدقة في لسان الشرع بالزكاة التي هي في اللغة النمو ترغيبا في القيام بها اذ الانفس البشرية مجبولة على حب المال وما ينميه وهي من النظم الجليلة التي تدفع عن الاغنياء رذيلة الشح وتعين على ابواب من البر في مصلحة مجموع الامة ومن نظر في تعدد مصارفها استيقن بانها الحبل المتين والساعد المعين لربط الجامعة الاسلامية والوحدة القومية وقدكان للعرب في جاهليتهم نظام فيما ينتج لهم من الحرث والانعام فيجعلون منه نصيبا لله يوزع على الفقراء ونصيبا للاوثان يصرف لسدنتها والقائمين بأمرها ولكن كان اهتمامهم بالمحافظة على ما جعلوه للاوثان اشد واعتناؤهم به اتم مما يجعلونه لله كما خبر الله تعلى عنهم بقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وماكان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون فجاءت الشريعة السمحة في الزكاة بهذا النظام الحكيم المرتكز على دعائم البر مبينة بالقرءان العظيم مقدار الزكاة وهو البعض وما تجب فيه ووقته اجمالا على ما تشير اليه آية خذ من اموالهم صدقة

وقوله تعلى كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده وتفصيلا بالسنة النبوية قولا وفعلا قال تعلى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ولو جاء القرآن بتفصيل كل شيء لضاقت به الصدور والسطور . ولما كان الخطاب بأخذ الزكاة في الآية الكريمة متوجها اليه صلى الله عليه وسلم تولى بنفسه أخذها من الاموال الظاهرة كالانعام والحرث ومن الاموال الخفية كالنقود وعروض التجارة فياتون بها اليه ويدعو لاربابها كما ورد في الحديث أن بني ابي اوفى لما أتوه بالصدقة قال اللهم صل على ءال ابي اوفى عملا بقوله تعلى وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اي تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم ومن هنا كان ينبغي للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق كما ورد فيقول ءاجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت . ويضعها صلى الله عليه وسلم في مصارفها التي جاء بها قوله تعلى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . ويوزعها عليهم باجتهاده المصيب صلى الله عليه وسلم ولما انتشر الاسلام في السنة التاسعة ارسل صلى الله عليه وسلم السعاة لاخذها رفقا بامته وقال لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه لما ارسله واليا على اليمن خذها من اغنيائهم واقسمها على فقرائهم واستنبط ابو حنيفة من هذا الحديث ان الفقير الذي يكون مصرفا للزكاة هو من لا يملك نصابا وهو مائتا درهم او قيمتها فاضلا عن قوته وقوة اهله زائدا عن حوائجه الاصلية لانه صلى الله عليه وسلم جعل في الحديث الناس على قسمين اغنياء وفقراء والغني من يملك النصاب والفقير من لا يملكه ولا واسطة بينهما وكره اخراج زكاة اهل بلدة فيها فقراء واعطاءها لفقراء بلد آخر الا اذا كان فيهم ذو قرابة للمتصدق كما كره ان يعطى نصاب لفقير واحد لانه يصير به غنيا الا في خلاص دين عليه . واستمر عمل الولاة في خلاص الزكاة عن الاموال الظاهرة والخفية في مدته صلى الله عليه وسلم ومدة خليفتيه ابي بكر وعمر وصدرا من خلافة عثمان رضي الله عنهم ولما كثرت الاموال واتسعت الارزاق بما فتح الله به على المسلمين من الممالك رأى سيدنا عثمان ان في تتبع الاموال الخفية حرجا على اربابها اذ من شانها ان تكون مخبوة في الدور والحوانيت وربما تنشا عن تتبعها مفاسد درؤها اولى وكان عمر بن الخطاب يقول لعماله لا تنبشوا على الناس اموالهم فاوكل عثمان صدقتها لاربابها وخطب في الناس وقال ان هذا الشهر شهر زكاتكم فمن كان منكم عليه دين فليقضه ثم يؤد زكاة ما بقي ان كان نصابا وذلك بعد مفاوضة الصحابة واجماعهم على ما رأى رضي الله عنه فكانت ارباب الاموال الخفية كالوكلاء عن الامام في ذلك القدر وبما ان الوكالة لا تبطل حق الموكل في المطالبة قال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا علم الامام باناس لا يؤدون الزكاة طالبهم بها واذا انتفت تهمة الترك فليس له حق المطالبة لمخالفته لما انعقد عليه الاجماع واما زكاة الاموال الظاهرة كالانعام والحرث فبقي الحق في خلاصها وصرفها في مصارفها للامام خاصة حتى لا يصدق من وجبت عليه في ادعاء اخراجها لغير الامام هذا

ولا تجب الزكاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم لا ملك لهم مع الله تعلى وما في ايـديهم ودائـع يبذلونها في اوان بذلها ويمنعونها عن غير محلها والى هذا يشير حديث نحن معاشر الانبياء لا نورث وما تركناه صدقه وتحمل عليه معارضة سيدنا ابي بكر رضي الله عنه لسيدتنا فاطمة لما طلبت ميراثها مم تركه صلى الله عليه وسلم من الحيطان بالمدينة وان الخليفة الثاني لما سلمها الى سيدنا علي رضي الله عنهمـا امره بان يتولى صدقتها فيما يراه. واما قوله تعلى في حق عيسى عليه السلام واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا فالمراد منه والله اعلم زكاة النفس من الرذائل التي لا تليق بمقام الانبياء عليهم السلام لا زكاة الاموال وعليه فتكون الوصية جامعة بين عبادة الله المرادة من الصلاة وصيانة النفس عما يشينها. هذا وقد اختلف مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما في سبب ايجاب الزكاة فذهب الامام مالك الى ان السبب الموجب هو ملك النصاب الحولي وذهب ابو حنيفة الى ان السبب هو ملك النصاب فقط والحول تاجيل لوجوب الاداء وكأن السر في ذلك ان يكون ما يدفعه المزكي مما يستفيده لا من رأس المال ويتفرع على قول ابي حنيفة رضي الله عنه صحة تعجيل الزكاة ممن يملك النصاب قبل مضي الحول بشرط النية عند الدفع للفقير او عزل ما يريد اعطاءه للفقراء عن ماله ودفعه لهم شيئا فشيئا بقدر الحاجة قال في الهداية وان قدم الزكاة على الحول وهو مالك للنصاب جاز ويجوز التعجيل لاكثر من سنة وقال ابن الهمام في شرحها ويجوز لنصب ان كان في ملكه نصاب واحد لان النصاب الاول هو الاصل في السببية والزائد عليه تابع له انتهى وهي رخصة عظيمة في سـد خلة الفقراء في سني المجاعة التي تعتريها احكام لا تكون لغيرها فقد كان سيدنا عمر بن الخطـاب رضي الله عنه يقول لا قطع في عذق ولا عـام سنة اي شدة لشبهة المجـاعة والحدود تدرأ بالشبهات. وقد بنى صاحب المحبيـة على صحة تعجيل الزكاة قبل تمام الحول قوله:

اجرى على قريبه المحتاج ما يكفيـه كل العام قال العلمـا
يجزيـه ان من الزكاة دفعـه وانـه اوقـع ذاك مـوقعـه

والقريب من ليس باصل ولا فرع كالاخ وابن العم فيصح اجراء النفقة عليه من الزكاة المعجلة ولو مياومة بشرط ملكية المنفق للنصاب والنية عند الدفع او عزل ما يريد انفاقـه عليه وتمليكه له ولا يكفي اباحة الطعام له وان لا يقضي القاضي بوجوب نفقته عليه الا ان يكون ما يدفعه له زائدا عما قدر له ولا يلزم اعلام المتصدق عليه بانه من الزكاة واشار بقوله وانه اوقع ذاك موقعه الى ان التصدق عليه افضل من التصدق على غيره لانه صدقة وصلة رحم وقال النبيء صلى الله عليه وسلم في حـديث زينب امراة عبد الله حين سالته عن صدقتها على عبد الله وايتام بني اخ لها في حجرها فقال لك أجران اجر الصدقة واجر القرابة. ومما ورد في فضيلة الزكاة مـا حدث به بشير ابن الخصاصية رضي الله عنه قال اتيت النبيء صلى الله عليه وسلم ابايعه فقلت له علام تبايعني يا رسول الله فمد رسول الله يده

فقال على ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس المكتوبات لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله كلا لا اطيق أما ايتاء الزكاة فما لي الا حمولة اهلي وما يقومون به واما الجهاد فاني رجل جبان فاخاف ان تخشع نفسي فافر فأبوء بغضب من الله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال يا بشير لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة فقلت يا رسول الله ابسط يدك فبسط يده فبايعته عليهن . هذا وان الشارع كما حث على الصدقة الواجبة وبين فضيلتها في ايما آية وفي ايما حديث حث على صدقة التطوع وبين فضيلتها فقال تعلى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون . لما نزلت الآية الكريمة انقسم الخلق بحكمة الله ومشيئته حين سمعوا هاته الآية اقساما فتفرقوا فرقا ثلاثة الاولى الرذلى قالوا ان رب محمد محتاج فقير الينا ونحن اغنياء فهذه جهالة لا تخفى على ذي لب فرد الله عليهم بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء والفرقة الثانية آثرت الشح والبخل وقدمت الرغبة في المال فما انفقت في سبيل الله ولا اعانت احدا تكاسلا عن الطاعة وركونا الى هذه الدار ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم والفرقة الثالثة لما سمعت هاته الآية بادرت الى الامتثال بسرعة كابي الدحداح فقد روي عن زيد ابن سلم رضي الله عنه قال لما نزل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح فداك ابي وامي يا رسول الله ان الله يستقرض وهو غني عن القرض قال نعم يريد ان يدخلكم الجنة به قال فانا ان اقرضت ربي قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة قال نعم قال ناولني يدك فناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال ان لي حديقتين احداهما بالسافلة والاخرى بالعالية والله لا املك غيرهما قد جعلتهما قرضا لله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل احداهما لله والاخرى دعها معيشة لك ولعيالك فقال اشهد يا رسول الله اني جعلت خيرهما لله تعلى وهو حائط فيه ستمائة نخلة قال اذا يجزيك الله به الجنة فانطلق ابو الدحداح حتى جاء ام الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فانشد يقول

هداك ربي سبل الرشاد	الى سبيل الخير والسداد
بيني من الحائط بالوداد	فقدمضى قرضا الى التنادي
اقرضته الله على اعتماد	بالطوع لامن ولا ارتداد
إلا رجاء الضعف في الميعاد	فارتحلي بالنفس والاولاد
والبر لا شك خير زاد	قدمه المرء الى المعاد

قالت ام الدحداح ربح بيعك بارك الله لك فيما اشتريت واجابته ام الدحداح وانشدت تقول

بشرك الله بخير وفرح	مثلك ادى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالي ومنح	بالعجوة السوداء والزهو البلح
والعبد يسعى وله ما قد كدح	طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت ام الدحداح على صبيانها تخرج من افواههم وتنفض اكمامهم حتى افضت الى الحائط الآخر فقال النبيء صلى الله عليه وسلم كم في الجنة من عذق رداح ودار فياح لابي الدحداح .

(محمد الصادق المحرزي) الاستاذ بجامع الزيتونة



بـــاب ومن يتوكل على الله فهو حسبـــه



بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

واما الاكتواء فثبت ان النبيء صلى الله عليه وسلم كوى سعد ابن معاذ في اكحله وكوى سعد بن زرارة وبعث الى ابي بن كعب طبيبا فقطع منه عرقا ثم كواه وجاء عنه. من اكتوى او استرقى فقد بريء من التوكل(١) وجاء عنه. الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم او شربة عسل او كية بنار وأنهى امتي عن الكي. وجاء في حديث الصحيحين وما احب ان اكتوي وقد تضمنت هذه الاحاديث مع حديث الباب اربعة اشياء احدها فعله ثانيها عدم محبته ثالثها الثناء على من تركه رابعها النهي عنه ولا تعارض فيها بحمد الله ففعله يدل على الجواز وعدم محبته لا يدل على المنع والثناء على تاركيه يدل على ان تركه افضل والنهي عنه اما على سبيل الاختيار من دون علة او عن النوع الذي لا يحتاج معه الى كي . وقيل في الجمع ان المنهي عنه هو الاكتواء ابتداء قبل حدوث العلة والمباح هو الاكتواء بعد حدوث العلة . اذا علمنا ماورد في الرقية والكي فللعلماء في حمل حديث الباب المفيد مرجوحية الرقية والكي والمشعر بمنافاتهما للتوكل افهام وفي معنى الاسترقاء والاكتواء سائر انواع التداوي فحكى المازري عن الاقلين كراهة التداوي مطلقا لحديث الباب لكن غمز حجة الاسلام الغزالي هذا القول وعابه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تداوى ولا يكون لغيره من الرسوخ في التوكل ما له قال وليس اعراض من اعرض من السلف عن التداوي لكون الترك أفضل بل لخواطر علقت بهم كالاشتغال بالعبادة عن العلاج او رؤية ان العلة مزمنة او توهم عدم نفع الادوية لقلة التجربة او فقدها او لنيل ثواب المرض او لخوف آفة الصحة او غير ذلك . والاكثر من العلماء على الجواز او عدم منافاة العلاج بجميع انواعه للتوكل وعليه ففي حمل الحديث اقوال الاول الرقى المذمومة واما الرقى بكتاب الله و بالكلام الطيب فليس مرجوحا بل سنة الثاني الرقى المأذون فيها فتركها افضل والحديث خارج لبيان اعلا درجات التوكل واحاديث فعل الرقى

(١) اخرجه احمد والترمذي وصححه

لبيان الجواز وهذا وان ذهب اليه الخطابي واختاره عياض فيظهر انه لا يستقيم مع تكرر الرقية من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشعر به حديث عائشة المتقدم اذ بيان الجواز لا يكون مع التكرر وانما يكون مع القلة وقد رقى جبريل عليه السلام رسول الله ورقته عائشة رضي الله عنها ولو كان مرجوحا لاشعرها وقد استشعر ابن الاثير ما اوردناه فتمحل لدفعه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اعلا مقامات العرفان ودرجات التوكل فكان ذلك منه للتشريع وبيان الجواز ومع ذلك فلا ينقص من توكله لانه كان كامل التوكل يقينا فلا يؤثر فيه تعاطي الاسباب شيئا بخلاف غيره ولو كان كثير التوكل فكان من ترك الاسباب وفوض واخلص ارفع مقاما. قلت يبعده حديث من استرقى او اكتوى فقد برىء من التوكل فانه يفيد المضادة لاصل التوكل لا للمراتب العلية منه . القول الثالث في الحديث حمله على من اعتقد نفع الادوية بطبعها كما كان اهل الجاهلية يعتقدون وقد ذهب الى هذا القول المازري والطبري وطائفة ورده القاضي عياض بان للسبعين الفا مزية على غيرهم وفضيلة انفردوا بها عمن يشاركهم في اصل الفضل والديانة ولو كان الامر على ما ذهب اليه المازري لم يبق لهم اختصاص لان عدم اعتقاد ذلك عند كل مسلم ومن اعتقد خلافه كفر. وقد سلم اعتراضه شراح مسلم ويظهر للعبد ان الاعتراض غير وجيه لان المزية في توكلهم ولهذا قيل وعلى ربهم يتوكلون ويكون الكلام على سبيل الترقي فيصير الحديث بمعنى لا يعتقدون تاثير الاسباب ولا يركنون اليها وانما ذكر الاسترقاء والاكتواء من بين سائر الادوية اهتماما بشانهما لما تاصل في نفوس الجاهلية من اعتقاد تاثيرهما ومما يرشح هذا ويرد اعتراض القاضي ذكر الطيرة معهما مع انها دائرة بين الكفر والحرمة على ما سياتي ان شاء الله

القول الرابع في الحديث حمله على من يجتنب فعل ذلك في الصحة خشية وقوع الداء واما من يستعمل الدواء بعد وقوع الداء فلا واليه ذهب الداودي. قلت ان سلم ظهور هذا الحمل في الاكتواء لما فيه من الاذاية ولما ينشأ عنه من الامر الفاحش فلا يظهر في الاسترقاء لانه في معنى الدعاء الذي يشرع لدفع المكاره الحاصلة او المتوقعة . هذا ما يتعلق بالاسترقاء والاكتواء واما التطير فهو مصدر تطير وجاء المصدر على طيرة كتخير خيرة ولم يرد في المصادر على هذا الوزن غيرهما وجاء في الاسماء حرفان شيء طيبة اي طيب وتولة لضرب من السحر وقد تقدم تفسيرها قال الزجاج واشتقاق الطيرة اما من الطيران لان الانسان اذا تشاءم بشيء وكرهه تباعد عنه فشبه سرعة اعراضه عنه بالطيران او من الطير لانهم كانوا يتشاءمون ببعضها ويزجرونها فكانوا ينفرون الطير والظباء فان اخذت ذات اليمين تبركوا ومضوا لحاجتهم وان اخذت ذات الشمال نكصوا وتولوا عن سفرهم وحوائجهم ولما كان ذلك يصدهم في كثير من الاوقات عن المضي في مقاصدهم ابطل الشارع ذلك بقوله لا طيرة واخبر ان ذلك لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا وجاء في بعض الاحاديث الطيرة شرك اى اعتقاد انها تنفع او تضر بذاتها

شرك اذ لا فاعل الا الله تعلى وجاء في مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي قال قلت يا رسول الله امورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا ناتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذلك شيء يجده احدكم في نفسه فلا يصدنكم قال الابي هذا نفي وابطال لطيرة بالبرهان وهو ابلغ فالمعنى لا تطيروا فان الطيرة لا وجود لها وانما هو شيء يوجد من قبل الظنون من غير ان يكون له اصل . وقد ظهر بما سقناه من الاحاديث ان اعتقاد التاثير بالذات فيما يتطير منه شرك وان التطير مع عدم اعتقاد التاثير بالذات حرام وعلل الشهاب القرافي الحرمة بانها سوء ظن بالله تعلى وحكى عن بعض العلماء انه سئل عن المتطير من شيء يفعله فيصيبه المكروه وغير المتطير يفعله فلا يصيبه اذى هل لذلك اصل في الشريعة فاجاب أصله قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وفي بعض الطرق فليظن بى خيرا والمتطير ظن الله يؤذيه عند فعل ما تطير منه واساء الظن بالله فقابله الله على سوء ظنه باذايته بما تطير به بخلاف غيره قال القرافي وضابط التطير المنهي عنه خوف الاذاية من فعل ما لم تجر العادة بانه سبب موذ سواء كانت العادة مطردة او اكثرية ويدل لهذا الضابط قوله في الحديث ذلك شيء يجده احدكم في نفسه اي ولا حقيقة له كما تقدم تفسيره

ومن تعليل الطيرة بما تقدم نعلم وجه مفارقة الفال لها وكراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم للطيرة وحبه للفال وقد فسره عليه الصلاة والسلام لما سئل عنه بقوله الكلمة الصالحة يسمعها احدكم قال القرطبي الفال تنشرح له النفس وتستبشر له بقضاء الحاجة فيحسن الظن بالله تعلى بخلاف الطيرة . وفي الترمذي من حديث صحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج لحاجة يعجبه ان يسمع ياراشد يانجيح وروى قاسم ابن اصبغ ان بريدة الاسلمي من بني سهم خرج في سبعين راكبا في اهله يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال من انت فقال بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر وقال برد امرنا وصلح ثم قال ممن قال من اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر سلمنا ثم قال ممن قال من بنى سهم قال خرج سهمنا . قلت يظهر في الفرق بين الطيرة المكروهة والفال المحبوب زيادة على ما ذكروه ان الطيرة تبعث الفشل والخور في النفوس وتثبطها عن المضي في مطالبها فكرهت لئلا يحصل ضعف العزيمة والانقياد الى الاوهام الباطلة واما الفال فانه يقوي العزيمة ويبعث النشاط ويغري بالاقدام المعقود بناصيته النجاح فلذلك أحبه وأعجبه وليست الاستخارة المشروعة على وزان الطيرة لان الطيرة تبعث على الاحجام لغير سبب معتبر واما الاستخارة ففي المشاريع المجهولة العاقبة وليس فيها مـا يبعث على الاحجام وانما هي عبارة عن التجاء العبد الى الله تعلى في ابعاده عن ذلك المشروع ان كان يفضي الى مكروه وشر وتوفيقه له وتيسيره عليه ان كان يسفر عن نجاح وخير فهي دعاء محض والدعاء مشروع في كل مهم قال تعلى : ادعوني استجب لكم .

الفتاوى والاحكام

الجواب عن بعض الاسئلة الواردة على المجلة

س (١) ما قولكم ابقاكم الله في رجل توفي وترك والدين فقيرين عاجزين وزوجة وسبع بنات قاصرات وخلف تركة تقدر بمليون فرنك ولكن هاته التركة مرهونة في دين قدره ثلاثمائة الف فرنك وبما ان قيمة الملك في هاته الظروف منحطة كثيرا فلا يمكن بيع شيء من المخلف المذكور لسداد الدين نظرا للمصلحة في عدم تفويت ملك له قيمة ولذلك باشر المقدم على هذا الملك دفع الدين المذكور من مدخول كرائه وبقي الورثة في حالة سيئة من الضيق والاحتياج فالمطلوب منكم بيان حكم الله فيما يخص النفقة على من ذكر لكل فرد من الوارثين وكيف تكون القسمة بعد خلاص الدين جازاكم الله عن الاسلام خير الجزاء الحاج محمد بن سليمان الدو — (بنزرت)

س (٢) رجل ذو ثروة وله اولاد وبنت وقد اراد ان يخصص قدرا من ثروته لابنته بعد وفاته ويترك الباقي على الشياع بين جميع الابناء مع ان الابناء متساوون في الصلاح وضده فهل يجوز له ذلك وهل يصح شرعا . محمد الشهيد — (تونس)

ج (١) اما بعد فالجواب عن المسألة الاولى . اما يخص الرشداء من الورثة فانهم ينظرون لانفسهم اي الامرين اصلح لهم اما البقاء على الاعاشة مع المولى عليهم ويجري امر الجميع على ما فيه المصلحة المشتركة التي يراها القاضي كما سياتي واما ان ياخذوا حظهم بالقسمة اذا قبلت التركة القسمة فيتصرفوا في منابهم بما يظهر لهم . واما المولى عليهم فالقاضي ينظر لهم اي الامرين اصلح اما الاستمرار على خلاص الدين من ريع التركة وهو اولى اذا تيسر بدون اضرار بالمولى عليهم في ابدانهم ولا في تربيتهم فان كان في ذلك ضرر عليهم من هذين الجانبين فالبيع بقدر الحاجة اولى لان المال انما جعله الله لقوام الحياة ويجري القاضي في ذلك على قاعدة ارتكاب اخف الضررين فهذا هو حكم الله فيما يخص النفقة على الورثة من مالهم الموروث . واما قسمة التركة فان الورثة المذكورين كلهم أصحاب فروض ومقادير فروضهم اكثر مما يحمله تكسير المال الى كسوره فيصار في هذه التركة الى العول فاصل هذه الفريضة ان تتجزأ الى اربعة وعشرين لانه اقل عدد فيه ثمن وسدس وثلث ولما كانت الفرائض في قضية الحال ثمنا وسدسين وثلثين وتلك كسور لا تتحملها الاربعة والعشرون تصير بالعول الى سبعة وعشرين لانها تعول بمثل ثمن الاربعة والعشرين وهو ثلاثة وهذه

الفريضة هي التي تلقب في الفرايض بالمنبرية (نسبة الى منبر الخليفة علي رضي الله عنه اذ اجاب عنها وهو يخطب على المنبر فقال صار ثمنها تسعا) وعليه فيكون للزوجة من ذلك ثلاثة ولكل من الابوين اربعة وللبنات ستة عشر فتلك سبعة وعشرون جزءا .

ج (٢) واما المسألة الثانية فالجواب عنها ان تخصيص بعض الولد بمال كثير دون بقية الاولاد قد اختلف فيه ايمة الاسلام ومشهور مذهب مالك رحمه الله ان ذلك مكروه وانه اذا وقع صح ومضى كسائر الهبات بشروطها افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في ٢٦ محرم و ٧ افريل سنة ١٣٥٦ – ١٩٣٧

❋ ❋ ❋

وورد على ادارة المجلة السؤالان الآتيان :

(١) موظف له مرتب شهري ينفق منه ما يسدد حاجته ويدخر الباقي في صندوق وهكذا دواليك حتى تجمع له من النقود المدخرة مايكون نصابا ثم وفقه الله الى اداء الزكاة فمن اي تاريخ يبتدىء الحول بالنسبة له ايستقبل بذلك المال المدخر حولا كاملا ام يجب عليه اخراج الزكاة حالا اذا فرضنا ان اول شيء وضعه في الصندوق مضى عليه حول ام كيف الحال

(٢) أنسان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويحفظ القرآن الكريم ولا يعمل بما فيه فهل يعتبر كارها للقرآن ام لا

جواب السؤال الاول ان هذا الموظف الذي يوفر من مرتبه كل شهر مقدارا لا يبلغ نصاب الزكاة ثم يدخره حتى تجمع لديه ماكمل به نصابها حكمه على مقتضى المذهب المالكي ان يستقبل الحول من يوم قبض المقدار المكمل للنصاب وادخاره ولا يعتبر يوم قبض المقادير الاخرى السابقة عنه مبدا الحول لنقصانها حينئذ عن النصاب ولنبسط ذلك موضحا بادلته فنقول

اقتضت حكمة الله البالغة ونعمته السابغة ان جعل للفقراء حظا في اموال الاغنياء متى بلغت مقدارا خاصا وهو المسمى بالنصاب رحمة منه تعلى بالفريقين معا اذ ان في الزكاة التي أوجبها الباري جل وعلا على الاغنياء في اموالهم للسائل والمحروم وجعلها احدى دعائم الاسلام الخمس رفقا بالفقير بدفع غائلة الفقر عنه وهي في الوقت نفسه تتضمن الرفق بالغني ايضا بدفع غائلة الفقراء عنه زيادة عن موافقتها ما تقتضيه المروءة الانسانية وما تستدعيه الاخوة الاسلاميه من انتشال الفقراء والمساكين من وهدة البؤس والشقاء ولزيادة الرفق بالاغنياء في اداء هذا الواجب الانساني العظيم وتخفيفا لوقع اخراج المال من يد ربه الذي يرى انه الاحق به لانه الذي كدح وأجهد نفسه في سبيل الحصول عليه في الاعم الاغلب جعل الشارع الحكيم الزكاة واجبة في فضول الاموال وعفوها قال تعالى خطابا

لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو فكان وجوبها مختصا بالاموال التي يقصد بها النماء واستثمار الربح الا ما ورد نص الشارع على عدم وجوبها فيه كالعبيد والخيل قال عليه الصلاة والسلام ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة اه فاوضحت السنة النبوية الشريفة اصناف المال الواجبة فيها الزكاة مما توفر فيه المقصد الآنف ولذا وقع اتفاق الايمة على وجوب الزكاة في ثلاثة اصناف من المال الاول الحرث ونعني به الحبوب والثمار المقتاتة اي التي تستقيم بها البنية لانها تسد خلة الفقير دون غيرها لانتفاء العلة المذكورة فيه الثاني الماشية وهي النعم من ابل وبقر وغنم الثالث النقد من ذهب وفضة وفي معناهما ما يتولدان عنه من عروض التجارة أما ما سبيله القنية والانتفاع به مباشرة ولا يقصد به التنمية فلا تجب فيه الزكاة، ومراعاة لهذا المعنى شرط فقهاؤنا في المال الواجبة فيه الزكاة القدرة على انمائه قال ابن الحاجب في مختصره الفرعي في باب الزكاة فشرط العين غير المعدن والركاز ان يكون نصابا مملوكا حولا كاملا غير معجوز عن انمائه اه قال صاحب التوضيح تعليقا على قوله غير معجوز عن انمائه احترز به من العين المغصوبة ومن المدفون والموروث اذا لم يعلم اه

ولكون الزكاة انما تجب في فضل المال وعفوه كما اوضحناه بينت السنة الغراء ان وجوبها منوط بشرط هو مظنة حصول النماء في المال الا وهو مرور الحول كما في النقدين غير المعدن او ما يتنزل منزلة مرور الحول كما في المعشرات وهي الحبوب والثمار فقد نزل ما بين وقت الزراعة والحصاد في الزرع وما بين اول اطوار الثمرة حين تكون نورا وجذاذها بالنسبة للثمرة منزلة مرور الحول حيث اوجب الله دفع زكاة ذلك يوم الحصاد قال تعلى وآتوا حقه يوم حصاده . وألحق المعدن بالزرع في عدم اشتراط مضي الحول لانهما معا خارجان من الارض ومما اعتبر فيه مرور الحول تقديرا ما تولد عما تجب فيه الزكاة فان حوله حول اصله نتاجا كان او ربحا لتقدير كمونه في اصله المتولد هو عنه. اذا تمهد هذا فالموظف الوارد في السؤال يستقبل الحول من تاريخ تمام النصاب ولا يضم ما كمل به النصاب الى ما وفره اولا بحيث يكون مبدأ حولهما يوم قبض الموفر اولا لان المال حينئذ لم يبلغ نصابا وايضاحا لذلك اقول

ان المرتب ونحوه من العين التي لم تتولد عن مال او تولدت عن مال غير مزكى يسمى في عرف فقهائنا فائدة وقد عرفها ابن عرفة في باب الزكاة بقوله ما ملك لا عن عوض ملك لتجر اه وابن الحاجب بقوله ما يتجدد لا عن مال مزكى اه وهو اوضح من تعريف ابن عرفة وعرفها خليل بقوله ما تجدد لا عن مال او غير مزكى اه اي ما تجدد عن غير مال او عن مال غير مزكى وحكم الفائدة في الزكاة ان كانت نصابا ان يستقبل بها الحول من يوم قبضها قال خليل واستقبل بفائدة اه اي ان كانت نصابا كما أفصح عنه شارحه عبد الباقي ومثل لها بما يقبض من وظائف وقال العدوي في حاشيته

على شرح الخرشي على المختصر الخليلي تعليقا على عبارة خ المذكورة ومن الفوائد ما يحصل للانسان من عمل كاجرة كتابة او صنعة او امامة ونحو ذلك اه

فان طرأت فائدة على فائدة كما في واقعة السؤال فذلك يتصور باربع صور . اما ان تطرأ كاملة النصاب على كاملته . او ناقصته على ناقصته . او كاملته على ناقصته . او ناقصته على كاملته فمتى كانت الفائدة الاولى كاملة النصاب سواء أكانت الثانية كاملته ام ناقصته لم تضم احداهما للاخرى بل تزكى كل واحدة منهما عند مرور حولها ومتى كانت الفائدة الاولى ناقصة النصاب ضمت الى الثانية كاملة النصاب كانت او ناقصته فتكون زكاتهما معاً عند دوران حول الثانية قال خ . نذكر لفظه ممزوجا بمحل الحاجة من عبارة شارحه عبد الباقي . قالا : وتضم الفائدة الاولى في حال كونها ناقصة عن نصاب لثانية فيها نصاب او دونه وحصل من مجموعهما نصاب فيصيران كالشيء الواحد او لثالثة ان لم يحصل من مجموع الاولين نصاب وهكذا اه فقوله وتضم الفائدة الاولى الخ هو بمعنى استقبال الحول من يوم حصول الفائدة الثانية او الثالثة التي بها كمل النصاب وهي عين مسألتنا الوارد عنها السؤال والله اعلم

اما السؤال الثاني فأقول في الجواب عنه : ان السائل وقع له اجمال فيه اذ ان كراهية القرآن المسؤول عن صحة اتصاف المؤمن بها اذا كان تاركا العمل بما في الكتاب العزيز او عدمها لم يوضح السائل مراده منها هل هو كون الشيء ثقيلا على النفس شاقا وهو احد معانيها او تسخطُ الشيء ومقته وهو الشائع من معانيها في استعمالنا ولعل السائل يريده فان كان يعني من الكراهية هذا الاخير فالجواب ان المؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر لا يتصف بها قطعا والا لم يكن مؤمنا وان كان مراده من كراهية القرآن معناها الاول وهو ثقله على النفس وكونه شاقا عليها مع تمام ايمانها به ورضاها كان المؤمن التارك للعمل بالقرآن متصفا بها قطعا اذ ان تركه للعمل بالكتاب العزيز مع ايمانه به لا يكون الا ناشئا عن الكسل وضعف العزيمة واتباع وساوس الشيطان وما تسوله النفس الامارة بالسوء

ولنزد المقام ايضاحا بنقل عبارة الامام فخر الدين الرازي عند تفسيره قوله تعالى . كتب عليكم القتال وهو كره لكم الآية قال ما نصه المسألة الثانية قوله كره لكم فيه اشكال وهو ان الظاهر من قوله كتب عليكم ان هذا الخطاب مع المؤمنين والعقل يدل عليه ايضا لان الكافر لا يؤمر بقتال الكافر واذا كان كذلك فكيف قال وهو كره لكم فان هذا يشعر بكون المؤمن كارها لحكم الله وتكليفه وذلك غير جائز لان المؤمن لا يكون ساخطا لاوامر الله تعالى وتكاليفه بل يرضى بذلك ويحبه ويتمسك به ويعلم انه صلاحه وفي تركه فساده والجواب من وجهين الاول ان المراد من الكره كونه شاقا على النفس والمكلف وان علم ان ما امره الله به فهو صلاحه لكن لا يخرج بذلك عن كونه ثقيلا شاقا على النفس لان التكليف عبارة عن الزام ما في فعله كلفة ومشقة اه المراد منه والى الله يرد العلم كله

علي النيفر

● ● ●

س — ما قولكم في رجل اقر في قائم حياته لزوجة كان مشغوفا بحبها وقت الاقرار وسجل ذلك

الوعظ والارشاد

لا صفر

جبل الانسان على تطلب المعرفة والاتسام بميسم العلم فهو متعلم وعالم ومعلم بطبعه لذلك ترى الطفل يسأل عن كل ما يراه ويسمعه ويحاول ان يزّي رفيقه كل ما يلوح له من امر مستغرب ويعرفه بكل ما وصل اليه علمه وادراكه . وشأن الامم في جهالتها الاولى او العارضة لها عن تدهور من اوج الهداية الى حضيض الضلالة ان تنتحل لانفسها معارف مخلوطة بين حق وباطل تعلل بها تعطشها الى العلم وغالب ذلك هو من وضع اهل الذكاء منهم الذين لم يقدر لهم صقل ذكائهم بالمعارف الحقة فهم بذكائهم الفكري تنعكس حركة عقولهم على نفسها فتخترع من تخيلاتها واوهامها ما يحسبونه علما ويشيعونه في دهماء القوم عن غرور وغفلة او عن دهاء وحيلة ليقتعدوا بذلك مراقي القيادة والزعامة . لذلك لا تجد امة يخلو تاريخ علومها من الابتداء بعلوم وهمية وخرافية تكون هي قصارى علومها قبل نهوض حضارتها ويتفاوتون في تنظيمها تفاوت عقولهم في الاختراع . فقد كان للكلدان خرافات من عبادة الكواكب وارواحها وكان للمصريين خرافات في احوال الموتى والموجودات

بحجة عادلة وادعى ورثته بعد موته ان ذلك الاقرار صدر منه مصدر المحاباة وان لهم بينة تصدقهم في دعوى الشغف فهل يصدق الوارث في دعواه ويبطل الاقرار ام لا

ج — اعلم ان الزوج اذا أقر لزوجته فاما ان يكون اقراره لها في حال صحته أو في مرضه فان كان الاقرار في حال الصحة فاقراره نافذ عليه مطلقا سواء علم ميله لها ام لا ورث كلالة ام لا قال ابن عبد البر وكل من اقر لوارث او لغير وارث في صحته بشيء من المال او الدين او البراآت او قبض اثمان المبيعات فاقراره عليه جائز لا تلحقه فيه تهمة ولا يظن فيه توليج والاجنبي والوارث في ذلك سواء وكذا القريب والبعيد والعدو والصديق في الاقرار في الصحة سواء ولا يحتاج من أقر على نفسه في الصحة ببيع شيء وقبضه ثمنه الى معاينة قبض الثمن وهذا القول هو المشهور وهو قول ابن القاسم في المدونة والعتبية قال المتيطي وعليه العمل : واما اذا كان اقراره لزوجته في حال مرضه فان علم ان الاقرار له سبب فالاقرار نافذ معمول به وان لم يعلم لذلك سبب فان ثبت انه مشغوف بها يبطل اقراره ويكون غير نافذ لاتهامه بمحاباتها الا اذا اجازه الورثة فعطية منهم لها . وان ثبت انه مبغض لها فاقراره ماض معمول به وللورثة الحق في القيام بابطال ذلك الاقرار ان شاءوا قال خليل كزوج علم بغضه لها

محمود بن الطاهر المدرس بجامع الزيتونة

المقدسة وكان لليونان خرافات في احوال الآلهة والابطال . فاذا ارتقت تلك الامم وتواضعت العلوم الصحيحة بقيت بقايا من العلوم الوهمية عالقة بعقول الطائفة التي حظها من المعارف الحقة قليل او معدوم . الا ترى ان المصريين مع ما كان في كهنتهم من العلوم الحكمية لم تخل عامتهم من الايمان باوهام خرافية وكذلك الحال في اليونان اذ لم يكن لغالب اساطين العلم في هؤلاء واولائك دعوة الى اصلاح التفكير والاعتقاد في العامة الا نادرا مثل ما كان من سقراط بطريقته الوعظية والتمثيلية وديوجينوس بطريقته التهكمية (١) بل كان غالبهم يقتصر من علمه على التعليم الخاص . على هذا السنن كان شأن العرب في جاهليتهم فقد تعلقوا باوهام باطلة ابتكرتها تخيلاتهم او وضعها لهم اهل الدهاء من المتطلعين الى التفوق والزعامة في القبائل فيرسمون لهم رسوما ويخيلون لهم انها معارف استأثروا بها ليجعلوا انفسهم مرجعا يرجع اليه الاقوام فانطوت بهم عصور في ضلالة حتى اذا استيقظوا منها في القيامة قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا . وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر عن عمرو بن لحي جد خزاعة انه يجر قصبه في النار لانه اول من بحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي ووصل الوصيلة(٢) ودعا الناس الى عبادة الاصنام . كان العرب قد ادعوا لانفسهم علوما وهمية منها الطيرة ـ والفال ـ والزجر ـ والعيافة ـ والرقى ـ والسلوات ـ وكذبوا تكاذيب اشاعوها بين الناس من دعوى تعرض الغول لهم في اسفارهم وخروج طائر من دم قتيل يسمى الهامة ومحادثتهم مع الجن وغير ذلك

وحاصل هذه العلوم انها استخراج معان دالة على وقوع حوادث مستقبلة للعامة او الخاصة تستخرج من احوال تبدو من حركات الطير او الوحش ومرورها ونزولها او من اقوال تقرع السمع على غير ترقب او من مقارنات بين الاشياء وملازمات للاشياء يجعلونها كالمقصود من تلك الاشياء مثل تشاؤمهم بالهام وهو ذكر البوم لانه يألف الخراب والمقابر ويصيح كالناعي فجعلوه علامة على الخلاء وان دلت عندهم على معان حسنة تفاءلوا بها مثل ان يمر بالمسافر من جانبه الايمن بقرة وحشية سليمة القرن . وبعض هذه المعلومات تبلغ من الشهرة عندهم الى حد ان يستوي الناس في استطلاعها وبعضها يتركب من احوال كثيرة او يحتاج الى دقائق فيحتاج العامة الى عرضها على اهل المعرفة والعارف بدقائق ذلك يدعى العراف وقد اشتهر اهل اليمامة واهل نجد بعرافيهم (٣) واشتهرت بنو لهب قبيلة من الازد بالزجر والعيافة

(١) كان سقراط اشهر فلا سفة اثينا يدعو العامة جهرا الى واجبهم ويضرب الامثال بوضع حكايات على السنة الحيوان وكان ديوجينوس زاهدا من حكماء اثينا وكان يلقي الوعظ والتربية بالتهكم على احوال قومه التي لا يرضاها

(٢) المشار اليها في قوله تعلى « ما جعل الله من بحيرة » الآية في سورة المائدة

(٣) قال عروة بن حزام « بذلت لعراف اليمامة حكمه * وعراف نجد ان هما شفياني »

اضاء على العرب وهم في ظلمات الجاهلية نور بزغ وفجر سطع وهو نور الاسلام الذي جاء لانقاذ البشر كلهم من ظلمات الاوهام والزيغ فطلعت شمسه على العرب مثل كل الامم فانحى على عقائد العرب الضالة . وحسبك ان الله تعلى وصف الاعتقاد الباطل بانه إعتقاد الجاهلية اذ قال « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » فكان اول ما دعاهم الاسلام اليه صحة الاعتقاد المستتبع تصحيح التفكير فدعاهم الى صحة الاعتقاد في ذات الله وصفاته ثم الى نبذ سفاهة الاحلام في هذه الاوهام وقد تكرر ذلك في القرآن « قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين » (١) وارشدهم الى ان ما لا دليل عليه من وحي او عقل يقبح تقلده فقال القرآن فيهم « ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مَا لا تعلمون ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون »

ومن الضلالات التي اعتقدها العرب اعتقاد أن شهر صفر شهر مشؤوم واصل هذا الاعتقاد نشأ من استخراج معنى مما يقارن هذا الشهر من الاحوال في الغالب عندهم وهو ما يكثر فيه من الرزايا بالقتال والقتل ذلك ان شهر صفر يقع بعد ثلاثة اشهر حرم نسقا وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وكان العرب يتجنبون القتال والقتل في الاشهر الحرم لانها أشهر أمن قال الله تعلى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » الآية فكانوا يقضون الاشهر الحرم على احن من تطلب الثارات والغزوات وتشتت حاجتهم في تلك الاشهر فاذا جاء صفر بادر كل من في نفسه حنق على عدوه فثاوره فيكثر القتل والقتال ولذلك قيل انه سمي صفرا لانهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوه صفرا من المتاع والمال اي خلوا منهما قال الذبياني يحذر قومه من التعرض لبلاد النعمان بن الحارث ملك الشام في شهر صفر

لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربعهم في كل اصفار (٢)

ولذلك كان من يريد العمرة منهم لا يعتمر في صفر اذ لا يأمن على نفسه فكان من قواعدهم في العمرة ان يقولوا « اذا برأ الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر » (٣) على احد تفسيرين في المراد من صفر وهو التأويل الظاهر . وقيل ارادوا به شهر المحرم وانه كان في الجاهلية

---

(١) اشارت الآية الى وأد البنات والى تحريمهم بعض الانعام على انفسهم كما قال تعلى « وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم » الآية في سورة الانعام

(٢) أقر بضم الهمزة وضم القاف اسم جبل وبجانبه واد يقال له ذو أقر وهو مراد النابغة فحذف ذو وهو واد لبني مرة وكانت ذبيان نزلت به بعد اغارتهم على بلاد الشام . والتربع الاقامة في الربيع لاجل المرعى ومراده بكل اصفار في كل شهر صفر من كل عام لانهم يتعرضون اغارة النعمان بن الحارث

(٣) وكانوا لا يعتمرون في اشهر الحج بل يرجعون الى آفاقهم ثم يخرجون معتمرين

يسمى صفرا الاول وان تسميته محرما من اصطلاح الاسلام وقد ذهب الى هـذا بعض ائمة اللغة واحسب انه اشتباه لان تغيير الاسماء في الامـور العامة يدخل على الناس تلبيسا لا يقصده الشارع ألا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب خطبة حجة الوداع فقال اي شهر هذا . قال الراوي فسكتنا حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذا الحجة . ثم ذكر في اثناء الخطبة الا شهر الحرم فقال : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان . فلو كان اسم المحرم اسما جديدا لوضحه للحاضرين الـواردين من الآفاق القاصية . على ان حادثا مثل هـذا لو حدث لتناقله الناس وانما كانوا يطلقون عليه وصفر لفظ الصفرين تغليبا

فنهى النبيء صلى الله عليه وسلم عن التشاؤم بصفر . روى مسلم من حديث جابر بن عبد الله وابي هريرة والسائب بن يزيد رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا عدوى ولا صفر . اتفق هؤلاء الاصحاب الثلاثة على هذا اللفظ وفي رواية بعضهم زيادة : ولا هامة ولا غول ولا طيرة ولا نوء . وقد اختلف العلماء في المراد من صفر في هذا الحديث فقيل اراد الشهر وهو الصحيح وبه قال مالك وابـو عبيدة معمر بن المثنى وقيل اراد مرضا في البطن سمي الصفر كانت العرب يعتقـدونه معديا وبه قـال ابن وهب ومطرف وابو عبيد القاسم بن سلام وفيه بعد . لان قوله لا عدوى يغني عن قوله ولا صفر . وعلى انه اراد الشهر فقيل اراد ابطـال النسيء وقيل اراد ابطـال التشاؤم بشهر صفر وهذا الاخير هو الظاهر عندي (١)

ووجه الدلالة فيه انه قد علم من استعمـال العرب انه اذا نفي اسم الجنس ولم يذكر الخبر ان يقدر الخبر بما يدل عليه المقام فالمعنى هنا لا صفر مشئوم اذ هذا الوصف هو الوصف الذي يختص به صفر من بين الاشهر وهكذا يقدر لكل منفي في هذا الحديث على اختلاف رواياته بما يناسب معتقد أهل الجاهلية فيه . وسواء كان هذا هو المراد من هذا الحديث ام غيره فقد اتفق علماء الاسلام على ان اعتقاد نحس هذا الشهر اعتقاد باطل في نظر الاسلام وانه من بقايا الجاهلية التي انقذ الله منها بنعمة الاسلام

قد ابطل الاسلام عوائد الجاهلية فزالت من عقـول جمهور المؤمنين وبقيت بقاياهـا في عقول الجهلة من الاعراب البعداء عن التوغل في تعاليم الاسلام فلصقت.تلك العقائد بالمسلمين شيئا فشيئا مع تخييم الجهل بالدين بينهم ومنها التشاؤم بشهر صفر حتى صار كثير من الناس يتجنب السفر في شهر صفر اقتباسا من حذر الجاهلية السفر فيه خوفا من تعرض الاعـداء ويتجنبون فيه ابتداء الاعمال خشية ان لا تكون مباركة وقد شاع بين المسلمين ان يصفوا شهر صفر بقولهم صفر الخير فـلا ادري

---

(١) وجه كونه الظاهر انه لو اريد ابطال النسيء لكان الا ظهر ان يقول لا نسيء لانه اشهر ولان النسيء لا يختص بشهر صفر بل يقع بين صفر ومحرم لانه جعل صفر محرما او العكس

هل ارادوا به الرد على من يتشآم به او ارادوا التفاؤل لتلطيف شره كما يقال للملدوغ السليم وايـاما كان فذلك الوصف مؤذن بتاصل عقيدة التشاؤم بهذا الشهر عندهم

ولاهل تونس حظ عظيم من اعتقاد التشاؤم بصفر لا سيما النساء وضعاف النفـوس فالنساء يسمينه (ربيب العاشوراء) ليجعلوا له حظا من الحزن فيه وتجنب الاعراس والتنقلات

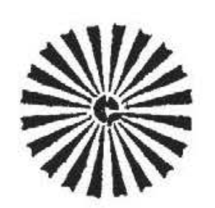
ومن الناس من يزيد ضغطا على إبالة فيضم الى عقيدة الجاهلية عقيدة أجهل منهـا وهي اعتقـاد ان يوم الاربعاء الاخير من صفر هو انحس ايام العام ومن العجب انهم ينسبون ذلك الى الدين الذي اوصاهم بابطال عقائد الجاهلية فتكون هذه النسبة ضلالة مضاعفة يستندون الى حديث موضوع يروى عن ابن عباس ان رسول الله قال « ءاخر اربعاء في الشهر يوم نحس مستمر » وقد نص الائمة على ان هـذا حديث موضوع فاذا ضم ذلك الى التشاؤم بشهر صفر من بين الاشهر انتجت هذه المقدمات الباطلة نتيجة مثلها وهي ان ءاخر اربعاء من شهر صفر أشأم ايام العام . واهل تونس يسمونها (الاربعاء الكحلاء) اي السوداء كناية عن نحسها لان السواد شعار الحزن والمصائب عكس البياض قال ابو الطيب في الشيب

أبعـد بعدت بياضـا لا بياض لـه لانت اسود في عيني من الظلم

وهو اعتقاد باطل اذ ليس في الايام نحس قال مالك رحمه الله « الايام كلها ايام الله وانما يفضـل بعض الايام بعضا بما جعل الله له من الفضل فيما اخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ولاجل هذا الاعتقاد الباطل قد اخترع بعض الجهلة المركبين صلاة تصلى صباح يوم الاربعـاء الاخير من صفر وهي صلاة ذات اربع ركعات متواليات تقرأ في كل ركعة منها سور من القرءان مكررة متعددة وتعاد في كل ركعة ويدعى عقب الصلاة بدعاء معين . وهي بدعة وضلالة اذ لا تتلقى الصلوات ذوات الهيئات الخاصة الا من قبل الشرع ولم يرد في هذه الصلاة من جهة الشرع اثر قوي ولا ضعيف فهي موضوعة . وليست من قبيل مطلق النوافل لانها غير جارية على صفـات الصلـوات النوافل فليحذر المسلمون من فعلها ولا سيما من لهم حظ من العلم . ونعوذ بالله من علم لا ينفع . وهوى متبع

حرره محمد الطاهر ابن عاشور





الأخلاق ومبلغ عناية الشارع بها

آداب الزوجية وحكمها

كما ظهرت عناية الشارع الحكيم بالاخلاق فيما شرعه للبشر من عقائد وعبادات كذلك ظهرت آثار ذلك فيما وضعه من اصول لبناء الاسرة ونظام المجتمع فنظم الاسرة ورتب علاقات العائلة على اساس المحبة والسلام .

تتكون العائلة من الزوجين قال تعالى « انا خلقناكم من ذكر وانثى » فلا بد من تقرير اصول هذا الازدواج ليثمر الثمرة المطلوبة على أكمل وجوهها وياتي بالغاية المنشودة في اجمل صورها فحث الشارع على الزواج اولا ورغب فيه واتى في هذا الباب باساليب مختلفة في التنويه بشانه وبيان فضائله وتحريك الدواعي المثيرة للاخذ باسبابه حتى جعله افضل من التخلي لنوافل العبادات (١) زيادة على ما هو مركب في النفس البشرية من الميل الجبلي والطبع الغريزي الدافع له ليقتلع بذلك ما قد يظن به من ان ليس فيه سوى قضاء الشهوة البهيمية واللذة الجسمانية وان ذلك مناف للكمال الروحاني الذي يجب ان يجعل مطمح انظار الكمل من البشر وان الاشتغال به قد يعوق الانسان عن بلوغ رتبة اهل الكمال ويحول دون صرف الهمة الى معالي الامور ، رمى الشارع هذه الاعتبارات في فياقي الاهمال ولم يقم لها وزنا من الاعتبار وجعل التزوج من اهم مقاصده اذ به تتكون العائلة وتتحقق المقاصد الهائلة فيسعى الانسان ويجتهد في تحصيل كسبه وكسب من يعوله من افراد بيته وتحصل الالفة المرادة ويتم التعاون على العمران وترتبط اجزاء المجتمع البشري على اصل المحبة والنفع العام ، فمن العائلة المبنية على الزوجين تتفرع اغصان شجرة الاقارب من ابناء و بنات واعمام وعمات واخوال

(١) جاء في البخاري عن انس ابن مالك رضي الله عنه جاء ثلاثة رهط الي بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسالون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقالوها « اي عدوها قليلة » فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني اصلي الليل ابداً وقال آخر انا اصوم الدهر ولا افطر وقال آخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج ابدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني

وخالات واجداد وجدات الى اصهار واخدان ثم كل اسرة تكون كاللبنة في بناء الامة فتتكون الامة من مجموع عائلات ومهما كثرت العائلات وافرادها ازداد شان الامة قوة وتماسكا وعلا صيتها بين الامم

ثم ان الشارع وراء هذا الترغيب في النكاح احاطه بقوانين وآداب يجب على المسلم مراعاتها والاخذ بها ليكون زواجه زواجا شرعيا كاملا والعمدة في هذا الباب ما جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة مما له تعلق بآداب الزوجية واحكامها وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في زواجه فهو المثل الاعلى للكمال الانساني في جميع احواله العامة والخاصة وقد أمرنا باتباعه في جميع ما جاء به صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا . ولنجعل حديثنا في هذا الباب مبنيا على ثلاث شعب . الشعبة الاولى في بيان الآداب المتعلقة بكيفية انعقاد رابطة الزوجية بين الزوجين . الشعبة الثانية في بيان الآداب التي يجب ان يتحلى بها الزوجان بعد انعقاد رابطة الزوجية بينهما لتثمر ثمرتها المطلوبة . الشعبة الثالثة في بيان آداب المفارقة حيث لم يتيسر للزوجين إقامة حدود الزوجية بينهما ولنستضىء في جميع ذلك بالكتاب والسنة فهما النبراس المضيء لظلمات المسالك الوعرة والشمس المشرقة في سماء الباحثين عن طرق السعادة البشرية الحقة

آداب التزوج

على المسلم اذا تاقت نفسه للمرأة قضاء لحق شهوته الحيوانية وبدافع التآلف الجنسي والتعاون على قضاء شؤون الحياة ان يطلب المرأة الصالحة ليحصن بها فرجه ويكف بصره كما جاء في الحديث ومن وراء ذلك يستكثر بها سواد المسلمين فتزداد بذلك قوتهم وتتم منعتهم في عين عدوهم . والمرأة الصالحة هي المسلمة المتدينة القادرة على العمل النافع لها ولزوجها من حيث هي ربة منزل وراعيته كما يؤخذ من حديث كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الى ان قال عليه السلام والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ويجب ان لا يجعل همه البحث عن فائقة الجمال او الحسب او الغنية المترفة فان هذه المرأة قد تزهو عليه بجمالها او بفائق حسبها او بكثرة مالها فيكون ذلك حائلا دون المقصد الاهم من النكاح وهو التآلف والتعاون على قضاء مصالح الحياة والاشتراك في القيام على شؤون المنزل الداخلية والخارجية وقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك اي فاطلب ذات الدين وفز بنكاحها فقد جعل صلى الله عليه وسلم ذات الدين افضل النساء الاربع وجعل المحصل عليها ظافرا وفائزا بمرغوبه . وفي مسلم ايضا من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة

واذا كانت المرأة مسؤولة عن رعي بيتها فالواجب اعدادها لهذا المهم حتى تؤدي رسالتها احسن

تأدية وتقوم بما هي مسؤولة عن ادائه كما يجب ولا يتم هذا الاعـداد الا بالتربية والتعليم المناسب لمـا سيناط بعهدتها من شؤون الحياة وما هو امس بوظيفتها في المجتمع البشري من حمل وإرضاع وتربية ولد تربية صحيحة كافلة باعداده لان يكون رجلا صالحا او امراة صالحـة ونعني بالصلاح هنا معناه اللغوي وهو النفع والافادة بحيث لا يكون كلا على المجتمع البشري وعضوا أشل فيه لا ترجى منه فائدة ولا تدفع به نائبة . ومن ذلك ان تكون قادرة على تدبير امور منزلها من شؤون طبخ واصلاح ثياب وتنظيم اثاث بيت وتنظيفها وتلقين اخلاق عالية هذا الى ما يجب من معرفة ما يلزم لحفظ دينهـا والقيام بما يفترض عليها ديانة ومبادي حفظ صحة وأدب وافر ولطافة معشر وكل هذا لابد له من التلقين والدرس المنظم . ولذا فاني ارى المدرسة للبنت ضربة لازب وليس لنا ان نـدعي ان هذا امر سهل يمكن ان تأخذه البنت في البيت تلقينا من امها واقاربها . أجل وان كان للبيت دخل وأي دخل في تكوين شخصية البنت واعدادها لما يراد منها في مستقبل حياتها ولكن البيت وحدها لا تكفي لذلك بل لابد من ان تتعاون البيت والمدرسة على تلقين البنت ما تحتاجه اذا صارت ربة منزل . ففي البيت تلقن مبادي الاخلاق السامية من صدق الحديث والوفاء بالعهد وحسن المعاشرة والعطف على الضعيف واعانة ذي الحاجة وتعظيم الكبير ورحمـة الصغير وتعود القيـام بشؤون البيت وتحمل مسؤولية ما يلزم من تكاليف العائلة الداخلية وتنظيم اثاث المنزل كما تلقن اصول العقيدة الاسلامية الصحيحة كل ذلك على طريق الدرس التطبيقي العلمي . وفي المدرسة تلقن الكتابة والقراءة بلغة دينها وعشيرتها وهي العـربية وتدرس مع ذلك ما تتوقف عليه قدرتها على المطالعـة المفيدة من اصول قواعد الاعراب والتصريف واللغة بطريقة سهلة قريبة ممزوجة بشيء من الادب الراقي الذي لا مجون فيه .كما تلقن شيئـا من القرآن الحكيم والسنة النبوية خصوصا ما يتعلق من ذلك بآداب الصحبة والمعاشرة وما يتعلق بحقوق الزوجية والاحكام النسائية . كما تلقن قواعد اصول الدين وقواعد فقه العبادات بطريقة مختصرة سهلة تحصينا لعقيدتها من جهة ولتكون من جهة اخرى قادرة على تلقين ابنائها عقيدة اسلامية مصفاة من ادران الخرافات الزائفة والعادات القبيحة التي يظن الكثير من جاهلات نسائنا انها من الدين وليست من الدين في شيء بل ربما تكون خطرا على الدين واهله . كما يجب ان تلقن مجملا عن تاريخ الاسلام والمسلمين بوجه عام وتاريخ فضليات نساء الاسلام بالمعنى الاتم الاوفى ليكن لها قدوة صالحة ومثلا اعلا

هذا من جهة الفنون النظرية واما من جهة الفنون التطبيقية فيجب ان تدرس الحساب ومبـادي الجغرافيا والصحة وتدبير المنزل والتربية وكل ما له علاقة بالبيت فاذا تعـاونت البيت والمدرسـة على تكوين هذه الثقافة للبنت امكننا ان نفتخر بوجود المرأة الصالحة التي هي الضالة المنشـودة لنا والتي امرتنا شريعتنا بالبحث عنها عند ارادة التزوج وأمكننا ان نثق بمستقبل ابنائنا في جو هذا البيت الذي

تديره امرأة من هذا الطراز . فلنعمل جهد طاقتنا لتكوين امهات لابنائنا يمكن الاعتماد عليهن في تربية رجال مستقبلنا وليكن عملنا على هذا البرنامج الذي سطرت ولنثق بالمستقبل . والامر بايدينا ولا يتوقف الا على شيء من الحزم والاعتماد على النفس وترك التواكل وانتظار ما تتحفنا به الحكومة من تعليم قد لا يتفق مع مشاربنا واتجاهنا في هذه الحياة وسبيل ذلك عندي هين وهو ان نجتمع ونشكل جمعية باسم « جمعية تعليم البنت المسلمة » ثم ان هذه الجمعية تعمل على جمع اشتراكات منظمة من اهل البلاد وتقرر برنامجا محكما لفتح مدرسة قرآنية للبنات المسلمات ويكون برنامج التعليم بهذه المدرسة على نحو ما قررت آنفا أو بتعديل خفيف على حسب ما يقترح عليه اعضاء الجمعية ثم تتقدم هذه الجمعية بمطلب الترخيص لهذه المدرسة من الحكومة ولا إخال الحكومة الا ملبية طلب الامة خصوصا اذا تظافرت افرادها على هذا الطلب بل ولا إخالها الا مقررة إعانة مناسبة لهذه المدرسة خصوصا ونحن في جو اصلاح عام ومن ناحية التعليم على الاخص .

ولنفرض ان الاسباب تهيأت وان الخناصر تعاقدت ووجدت المرأة الصالحة بهذا المعنى وما ذلك على همة امتنا التواقة للكمال بعزيز ولا صعب التحقق . وعلى كل فان اصل الصلاح والعفة والتدين موجود الآن في كثير من بناتنا ولله الحمد فعلى الزوج ان يطلبها من وليها بالخطبة الشرعية وعلى الولي ان يسهل امر زواجها ولا يعضلها بمنعها من التزوج ما دام الزوج كفئا لها بان يكون في درجة قومها ديانة ونسبا وحرفة (١) وانما اعتبر الشارع الكفاءة والمناسبة بين الزوجين لان ذلك اكفل بدوام العشرة وحصول الازدواج المطلوب من التزوج الذي يرغب الشارع في دوامه وعدم انفصام حبله بالطلاق المبغوض له ولا سبيل لحصول هذا الازدواج الدائم إلا بانتظام امر العشرة وتوافق الطبائع مع ان في اتصال الزوجين بعضهما ذلك الاتصال الشديد ما يوجب في كثير من الاحيان حصول التشاجر والتشاقق من كل ما يوجب فصم عقدته فاذا كانت الطبائع متقاربة واساليب حياة الزوجين قبل الدخول في عقدة الزوجية متشابهة كان ذلك لا محالة اضمن لدوام العشرة وحصول الالفة المرادة وعلى فرض حصول شيء من النفرة احيانا فانه سرعان ما يزول وتعود المياه لمجاريها . فاذا حصل التراضي من الجانبين ووشما في المستقبل خيرا فعليهما ان يتمما العقد على الوجه الشرعي ولا يجعلا المهر مقصدا اصليا لهما فان المهر ما جعل الا تنويها بشان استحلال الفروج التي حرم الله وتشريفا للمرأة باظهار عزتها قال تعلى : واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم الآية لكن لا على معنى التباهي والتفاخر به لان ذلك مما يعوق عنه ويجعله في حيز الامور الصعبة

---

(١) جاء عن النبيء صلعم اذا اتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير وعن عمر رضي الله عنه قال لا منعن تزوج ذوات الاحساب الا من الاكفاء

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

دار الباي بتونس

نظرا لما عزمت عليه الحكومة التونسية في هذا العام من ادخال اصلاحات على دار الباي التي هي مقر الوزارة الكبرى والكتابة العامة في هذا العهد بقصد تجديد ما تهدم من ذلك القصر العظيم وتمتين الموجود منه فقد رايناها فرصة مناسبة لان نبسط على صفحات هاته المجلة تاريخ تاسيس هذا القصر وما مر به من الاطوار وما تداولت عليه من الحوادث على مر الاعصار . فرغبنا من حضرة العلامة المفضال القـائم بتحرير قسم التاريخ بالمجلة السيد محمد بن الخوجة ومن استاذ نحرير من كبار متوظفي الدولة له تضلع في التاريخ التونسي ان يكتبا لنا في هذا الموضوع . فكتب كل واحد منهما مقالة مفيدة جدا في هـذا الباب . وسننشر كل واحدة تحت عنوانها ـ شاكرين حضرة الكاتبين الفاضلين على ما لهمـا من العناية والتنقيب عن نواحي التاريخ التونسي فالى قرائنا الافاضل اولى المقالتين :

متى كان تاسيس دار الباي ومن احدثها ومتى لقبوها بسراية المملكة

استفيد من بعض الصكوك العتيقة ان الجهة التي منها البقعة الموجـودة بها سراية المملكة كانت في المائة التاسعة مشتملة على فنادق شتى منتشرة هنا وهناك وجاء في كتاب ابتسام الغروس ان احد الفنادق بتلك الجهة انتزعه السلطان الحفصي ممن كان بيده وبنى مكانه زاوية للشيخ سيدي احمد بن عروس

البعيدة المنال وذلك ينافي ما قصده الشارع من تسهيله حتى تحصل مقاصده الشريفة باطراد وقد جاء في الحديث التحذير من التغالي في المهور ففيه ان من شؤم المرأة غلاء مهرها . والاولى ان لا تبـاشر المرأة العقد بنفسها بل توكله لوليها لان مباشرة المرأة العقد بنفسها مما وقع في صحته خلاف بين الائيمة فالاولى ان يباشر عقدها وليها ليكون هذا العقد صحيحا باجماع ولا باس بالاحتياط في امـر الفـروج لما لها من كبير الشان في نظر الشارع مع ان في مباشرة المرأة بنفسها عقد نكاحها تقليـل من معنى الحشمة والحياء المطلوبين شرعا وخصوصا من النساء زد على ذلك ما في مداخلة الولي في الامـر من توطيد لدعائم عقدة النكاح حيث يمنع بعد ذلك من الاعتراض عليها في اختيار هـذا الـزوج دون رايه ورضاه ولا باس باعلان النكاح وإقامة وليمة شرعية عند البنـآء تشهيرا لامره وتعريفا به والدعـاء للزوج والزوجة بالبركة كما دعا رسول الله صـلى الله عليه وسلم بقوله اللهم بارك لهم وبـارك عليهم

(للبحث بقية)

محمد الهادي ابن القاضي

ووقفها عليه وعلى اقاربه ثم لما توفي رضي الله عنه في عام ٨٦٨ على عهد السلطان ابي عمرو الحفصي دفن بها

وكان مركز الامارة على عهد بني حفص بالقصبة وبها مساكنهم ولم يبق بها شيء من ءاثارهم سوى الجامع الحفصي وصومعته الجميلة وهذه قام باحكام صنعها (علي بن محمد بن قاسم عريف البناء) في سنة ٦٣٠ وبعد سقوط الدولة الحفصية في المائه العاشرة وقيام الدولة المرادية في ظل ءال عثمان جعل الامراء المراديون مساكنهم خارج القصبة على مقربة منها فكان موقعها بالبقعة التي بها سراية المملكة كما سياتي الكلام عليه وابقوا مركز الامارة بالقصبة والاخبار في ذلك مستفيضة والتواريخ على اتفاق فيها وفي عهدهم تعددت اسواق الشاشية وكان بعضها واقعا حيث بطحاء القصبة اليوم فوقع حريق قضى عليه بما فيه ولما دخلت الايالة التونسية في حكم البيت الحسيني خلد الله بقاءه سكن المولى حسين بن علي تركي بدار حمودة باشا المرادي اولا وسكنها قبله المرحوم ابراهيم الشريف وهو آخر من تولى حكم تونس في منتهى الدولة المرادية . ثم انتقل المولى حسين الى قصور باردو . ومن هذا التاريخ جعل الامراء الحسينيون كرسي ملكهم ومساكنهم بباردو وباردو من بقايا الدولة الحفصية ولما ءالت نوبة الملك للباي حمودة باشا الحسيني وجه مهجته نحو عمارة الحاضرة التونسية فبنى داخلها وخارجها الثكنات والحصون والمساجد والاسبلة وغير ذلك من اعمال البر وفي جملة ذلك انه اسس سوق الباي وباشر احياء دار الامراء المرادين قال في مسامرات الظريف في ترجمة المشير « محمد الصادق باي » وبنى (اي الباي) سوق القصبة والعلو الباذخ الذي قبالته على دار المولى حمودة باشا المرادي التي عاوضها حمودة باشا المشير الحسيني في غرة شوال ١٢١٩ وجدد بنائها على الوجه الاتقن فكان هذا العلو الصادقي كالتاج على جبهة ذلك الجمال وتسمى اليوم سراية المملكة اه فحمودة باشا الحسيني هو الذي انشأ سراية المملكة فوق اطلال دار المرادين وبنى علوه البديع المشتمل على مساكنه ومساكن حاشيته ومن اجملها ترصيعاوتزويقا وتنميقا قاعة الانتظار ذات البهو العجيب والسقيف المموه بالذهب الوهاج وبيت القبة ذات النقوش الاندلسية الجميلة وبه يجلس في هذا العهد سمو الملك ابقاه الله في حفلة يوم رابع العيد كما يجتمع به مجلس الوزراء في موفى كل شهر وفي مجاري العادة هو بيت صدر الوزارة

وقد قدمنا لك ان هذا العلو اجتهد الباي حمودة باشا في تنسيقه وتهذيب اساليبه كما تشهد بذلك عرصاته وجدرانه وسقوفه ولا سيما صحنه الفسيح الذي هو عبارة عن نموذج حي مما حفظه الذوق العربي الصميم لاهل الاندلس بقرطبة وغرناطة وقد جعل النظر على تلك الاشغال لوكيل مرمته الحاج العربي زروق وكان شاهد المرمة الشيخ اسماعيل التميمي الذي قدمه لخطة القضاء بعد حين اما المباشرون للبناء فكانوا جماعة من مهرة البنائين بعصرهم منهم الامين محمد توسه والامين حميدة النيفرو جد المرحوم سليمان النيفرو المهندس البلدي وهذا الحفيد شارك في بناء باب البحر سنة ١٢٦٤ والابيات التي على واجهة الباب من نظم المدرس الشيخ احمد بن محمد بيرم المتوفى سنة ١٢٨٠

ومن البديهي ان اشغال النقش حديدة) والتطريز الفسيفساءي المحلاة به جدران بيوت ذلك العلو كان انجازه بمشاركة معلمين من المغاربة وفدوا على تونس وعنهم حفظ تلك الصناعة جماعة من ابناء البلاد ظهر حذقهم فيها بما انجزوه من الاشغال الساحرة كما تراه بمعالم كثيرة منها زاوية سيدي حسن بن مسكه بسيدي المشرف بناها المرحوم مصطفى بن محمود باي في حدود سنة ١٢٥٢ ودار الاصارمة بنهج التريبونال ودار العشرة المعروفة بدار حسين حيث مساكن ودواوين الجنرال القائد الاعلى للجيوش الفرنساوية بتونس ولسوء الحظ ان هذه الصناعة الجميلة طوى حديثها الزمان وآخر من اشتهر فيها الامين الحاج يونس النقاش المتوفي سنة ١٢٩٠ ومن تلاميذه المرحوم قاره مصطفى الذي باشر اشغال (النقش حديدة) الموجودة بواجهة المحكمة العدلية الفرنساوية بشارع باب البنات

وسمعنا من الثقاة ومن المرحوم الامير الاي محمد بروطه وهو رجل ولد على عهد الباي حمودة باشا ومات في سنة ١٣٣١ عن مائة واربع سنين ان الباي المذكور لما باشر بناء السراية التي نحن بصددها وافق ذلك عام مسغبة فكان يستقدم المحتاجين من العامة للتوسيع عليهم والانتفاع بيدهم العاملة في مرمتها ويمونهم في مقابلة ذلك فالصانع الكبير بخبزتين والصانع الصغير بخبزة واحدة وهذا مما حمل بعض معاصريه على وصفه بالشح على انه ندم على بناء هذه السراية وقال ان الاموال التي انفقها من اجلها لم ترجع بفائدة على اهل البلاد

وفي هذا العهد جدد الامير المذكور عمارة المسجد المجاور لسرايته ووقف على امامه دارا لسكناه ابتلعتها ادارة الاشغال العامة بطريق المعاوضة في جملة الابنية من اسواق ودور وحوانيت الحقوها الادارة المذكورة لنحو ربع قرن فائت

وفي عهد المرحوم المولى حسين بن محمود باي تولى هذا الامير انجاز ما لم يتم من الاشغال بالطاق السفلي من السراية في عهد خاله حمودة باشا فباشر اتمام سقيفتها مع ما يتبعه من البيوت واضاف لذلك جريا على عادة اسلافه في التسابق لاعمال البر سبيلا عموميا موقعه ببيت العسة الموجود في هذا الزمان بسقيف السراية وما زال اثره حيا لهذا اليوم بشهادة الابيات المنقوشة فوق شباك ذلك البيت ومطلعها

هذا سبيل الفضل والاحسان ومورد عذب لدى الضمئان

وجاء عصر المشير احمد باي الاول وهو صاحب المواهب العالية والاطماع الواسعة فاعتنى بهذه السراية ايما اعتناء وجدد رياشها واثاثها وزاد في زخرفتها وكان كثير التردد عليها لانه يقصدها كلما جاء لتعاهد الثكنات والعساكر المشغوف بهم وكانت في ايامه كما في ايام سلفه معدة لنزول ضيوف الدولة كالامراء والمبعوثين الوافدين على تونس من اروبا ومن الاستانة وممن سكنها في عهده الدوك

منبانسي اصغر ابناء الملك لويز فيليب في سنة ١٢٦١ قال في تاريخ تونس للحكيم فرانك طبيب الباي ما معناه في شأن هذه الزيارة ان الباي الذي هو امير مسلم خصص منذ عدة ايام قصره الجميل المسمى دار الباي لقبول ضيفه المسيحي والاحتفاء به بتلك الدار التي احكم تأثيثها بابداع على النمط الاروباوي مع الاحتفاظ في جميع كلياتها وجزئياتها بالبذخ والفخامة العجيبة التي لا يناسبها في الوصف الا اعاجيب قصص الف ليلة وليلة « ثم قال » ومن حسن مصارفة الباي ونحريريته ان زين جدران تلك السراية بصور تمثل اشهر الوقايع الحربية التي كللت جبين فرنسا بالفخر مدا هذه الخمسين سنة الاخيرة يعني من انتصارات الجمهورية الاولى بايطاليا حتى الاستيلاء على مدينة قسنطينة وقدم بعد الدوك منبانسي المذكور اخواه البرنس جوانفيل والدوك دومال ونزلا ايضا بسراية المملكة في ضيافة المشير احمد باي وقلدهما نيشان البيت الحسيني وكتب لهما في ذلك ظهيرا عظيما من انشاء كاتبه الشيخ احمد ابن ابي الضياف تضمن ما لهذا الباي من المودة والتعلق بفرنسا فقد جاء فيه قوله « فانه حصل لنا بقدومكم فرح وسرور لا ينسى مدا الاعصار والدهور حيث تفضلتم بزيارتنا ووضحتم وثيق الربط في صحبتنا ومزيد الاعتناء بدولتنا وصداقة عيلتنا (ومنه ايضا قوله « وقبولكم له (اي للنيشان الحسيني) زيادة في سرورنا وايضاح لنورنا وتقوية لصدورنا وتزداد الرفعة والشان لهذا النيشان ومن هذا رأيت الدارين واحدة والقلوب على الصفا متعاضدة وهي اعظم فائدة حصلها عمري واكبر سرور ساعدني به دهري واقوى كنز اعددته لذخري » وهذا الظهير لم نقف عليه بتاريخ الشيخ ابن ابي الضياف ولكن عبارته باكملها نشر ترجمتها البحاثة هوقون بكتابه المتعلق بالبايات الحسينيين - اما الاثاثات والمعلقات الكثيرة والغريبة المشار اليها في كلام الحكيم فرانك السالف الذكر فقد تناولها التلاشي على توالي السنين وما بقي منها بيع بالمزاد العمومي في جملة الاشياء القديمة التي وقع تجديدها في سنة ١٣٢٠ بعد الفترة التي خيمت على السراية مدا الاربعة اعوام قبلها

وفي اواخر سنة ١٢٧٧ نزل ضيفا بدار الباي البرنس نابليون ابن عم الامبراطور نابليون الثالث مصحوبا بزوجته البرنسيسة كلوتيلد ابنة ملك ايطاليا فيكتور عمانويل الثاني ولما توجه لزيارة سمو الباي في قصر باردو اهداه سموه سيفا دمشقيا مرصعا وقلده النيشان الحسيني في موكب حفيل ورد له الزيارة بنفسه في يومه بسراية المملكة والوثائق التاريخية التي لدينا بشان هذه الزيارة تضمنت افادات شتى منها ان زوجة البرنس لما كان زوجها في حضرة الباي دخلت هي لزيارة الحريم حيث جلست ساعة زمانية في حضرة سمو البابة ومن حولها من نساء الاعيان وانه في اليوم الثاني من سكناه بالسراية اخلوا له حمام دار الجلد ليستحم فيه مع رجال حاشيته وكان المكلف بموانسته مدة اقامته بسراية المملكة امير اللواء فرحات مستشار الوزارة الخارجية وان الذي تلقاه عند وصوله ونزوله بحلق الوادي هو وزير البحر خير الدين

وفي العام المذكور اجريت اصلاحات معتبرة وتوسيعات وتاثيثات بسراية المملكة منها بيت المجلس الاكبر لاجتماعه بعد الاعلان بقانون عهد الامان وكان عدد اعضاء هذا المجلس ستين من العلماء والاعيان ومن رجال الدولة وكان بصدر بيت المجلس كرسي ملوكي يجلس عليه سمو الباي عند افتتاح المجلس وبه كانوا يعقدون الحفلة السنوية لختم امتحانات تلامذة المدرسة الصادقية يحضرها سمو الباي ووزراؤه ورجال دولته والعلماء والقناصل والاعيان وكانت دواوين الدولة قبل عصر الحماية تنتصب موقتا في شهر رمضان بسراية المملكة بالبيت الذي به اليوم رئيس القسم الاول ومعتمده وبيت المجلس الاكبر المذكور انفا هو الذي قسموه اقساما لنصب دواوين الحكومة عند انتقالها من باردو لتونس في عام ١٣٠٠

وفي ذي القعدة ١٢٧٨ وفد على الحاضرة مبعوث عثماني اسمه سعيد باشا اوفده السلطان عبد العزيز خان مع النيشان العثماني المرصع للمشير محمد الصادق باي فاسكنه الباي في ضيافته بسراية المملكة مدة اقامته بتونس وفي العام التالي نزل بها البرنس دي ثال ولي عهد بريطانيا العظمى والبرنس فريدريك ولي عهد المانيا وقدم بعدهما في العام نفسه البرنس همبرت ولي عهد ايطاليا وكان قدوم هؤلاء الامراء ومن تقدمهم من اقرانهم عنوانا على ابتهاج دولهم بما توفق له سمو الباي من الاعلان بقانون عهد الامان وهذا الصنيع نفسه هو الذي كان باعثا على اتحاف الباي بجملة من الاوسمة العالية وبرسوم بعض ملوك اروبا كرسم الامبراطور نابليون الثالث والامبراطور فرانسوا جوزاف والملك فيكتور عمانويل الثاني مما هو موجود لهذا اليوم في جملة المجموعة النادرة والثمينة من الرسوم الملكية التي منها صورة الملك لويز فيليب المصنوعة من نسيج قوبلان اهداها صاحبها لحبيبه المشير احمد باي في سنة ١٢٦٢ قدروا قيمتها لستين سنة فارطة بمائة الف فرنك فتكون قيمتها في الزمن الحاضر قريبة من المليون

ولما ابتليت العمالة التونسية بثورة علي بن غذاهم قدمت الاساطيل الاروباوية للمياه التونسية كما حضر بحلق الوادي في ذلك الوقت قسم من الاسطول العثماني ومعه حيدر افندي الموفود من لدن الباب العالي لاستكشاف الحال فهذا المبعوث نزل ايضا ضيفا بسراية المملكة اثناء تلك الايام العصيبه (حجة ١٢٨٠) ولقد وقعت بيدي ورقة في جملة اوراق وتقاييد لبعض رجال الدور القديم ممن كان لهم المام باحوال الدولة فاذا بها بيان ما صرفوه على البرنس فريدريك شارل في كامل المدة التي نزل خلالها ضيفا بسراية المملكة في اوائل ١٢٨٩ وقدر ذلك ٦٩٨٥ ريالا على يد مستشار الوزارة الخارجية ومقتضى ورقة اخرى بلغ ثمن فطور رتبوه بسراية المملكة في رجب ١٢٩٢ اكراما لاميرال عثماني الى ٦٢٤ ريالا وممن حضر هذا الفطور امير لواء العسة حسن الزاوش وصالح افندي مترجم اللغة التركية بالوزارة الخارجية واتفق ان قدمت لتونس في العام قبله البرنسيسة ده هيس

من قرابة امبراطور المانيا مصحوبة بولديها البرنس ارنست والبرنس البير وكان وصولهم ليلة المولد الشريف فحال ذلك دون انزالهم بسراية المملكة لقدوم سمو الباي بنية المبيت بها للاحتفال بذلك الموسم ولكن سموه انزلها وولديها وحاشيتها على نفقته بدار الكفليس طابيا بحومة باب البحر ولم يسمح بنزولها في احد الخانات وخرجت وولداها للتفرج على زينة الاسواق في الليل وفي صبيحة يوم المولد قبلها سمو الباي مع ولديها بسراية المملكة بعد رجوعه من الجامع وقلد كلا من الولدين الصنف الاكبر من نيشان الافتخار ثم بعد انصرافها وجه الباي حفيده البرنس حسين باي لرد الزيارة لها بدار قنصلات المانيا هكذا وقفت عليه بمجموعة الرائد التونسي لعام ١٢٩١ ونظير هذه الضيافة الرسمية خارج دار الباي وقعت مرة اخرى في عهد المشير احمد باي فانه لما قدم عليه عمر جمال افندي في سنة ١٢٥٩ من قبل الباب العالي لتسوية الخلاف الحاصل بينه وبين دولة سردانية انزله الباي بالكرم ببستان صهره ابي النخبة مصطفى اغة وزير الحرب .

وفي اواسط عام ١٢٩١ شرع المشير محمد الصادق باي في بناء العلو الجديد المطل على بطحاء القصبة الذي سبقت الاشارة اليه وسيأتي الكلام على سبب هدمه اما اتمام بنائه فقد كان في شعبان ١٢٩٢ وافتتحوه عن اذن الباي بتلاوة ءايات الذكر الحكيم هكذا سمعت من والدي رحمه الله واول موكب رسمي اقيم به كان لتلقي زيارة اميرال الاسطول الفرنساوي الذي قدم لتونس آواخر الشهر المذكور وتسابقت اقلام البلغاء والشعراء لتهنئة المولى الامير بما احدث من الابنية الجميلة التي اعادت على سراية القصبة شبابها من ذلك قصيدة عصماء للمفتي الشيخ احمد كريم (١) جاء فيها قوله :

وانظر الى تونس الخضراء قصبتها   عاد الشباب اليها وانتفى الهرم

وقد وقفت على تقييد لبعض الاعيان تضمن تفصيل المصاريف الناتجة عن بناء العلو المتحدث عنه مع ما يتبعه من البطاح والسوق المواجهة لدار الباي حيث محلات ادارتي المال والاشغال العامة في التاريخ الحاضر فاذا به ريالات

٨٩٠٠٠	مصروف بناء العلو بواسطة الحاج الطاهر بن عمر امين البناء والحاج عمر بوعشير امين النجارة على يد امير اللواء العربي زروق رئيس المجلس البلدي
١٥٨٧٥	مصروف الدرج والدربوز والواجهة
٦٩٧٠	تحسينات الحاقية لم تشملها وفقة البناء
٦٤١٠	مصروف دهن شامل لمحلات العلو الجديد ولحوانيت السوق
٣٥٠٠٠	مصروف اتمام بناء السوق بعد عجز الجمعية التي احدثته
٣٢٣٦٠	مصروف تهيئة بطحاء القصبة وجلب ماء زغوان لها وتنويرها بستة فوانس غازية
١٨٥٦١٥	

(١) انظر ترجمته في الجزء السادس من المجلة صحيفة ٢٩٨

واصلاح حائط مقبرة السلسلة وتمهيد الطريق بينها وبين باب المنارة مراعاة للباب الذي فتحته جمعية الاوقاف في تلك الاثناء بالجامع الحفصي على الطريق المذكور وكان بابه بداخل القصبة فيما تقدم من القرون وهذه الحسنة الخالدة عززتها الجمعية يومئذاك بحسنة اعظم منها ألا وهي احياء جامع الحلق الذي اسسته اميرة حفصية حوالي المائة الثامنة للهجرة وكانت هـذه المآثر هي فاتحة السعي في عمارة بيوت الله بعد احداث جمعية الاوقاف بهمة المصلح الكبير الوزير خير الدين وكان بوسط بطحاء القصبة خصة عظيمة وسط حوض حوله دكاكين لجلوس العموم وبصحن زاوية الشيخ سيدي الشريف المجاورة للسراية كانت هنالك نخلة عالية كادت تناطح السحاب قضت عليها زوبعة شديدة في سنة ١٣١٦

هذا وقد رأيت ان السوق المسامت لسراية المملكة كان في عهـدة جمعية تونسية عجزت عن اتمامه وصورة الخبر ان هذه السوق اقيم بعضها فوق مقبرة الترك الدارسة وبعضها على طلـل معصرة قديمة كانت بجوار ديوان المدافعية في عهد الترك وحديثها طويل ملخصه تشكيل جمعية رجالها اربعة من كبار الموظفين ولا حاجة لذكر اسمائهم اقطعتهم الدولة مساحة من الارض ليتولوا بنـاء اسواق للتجارة بطريق المساهمة ولما شرعوا في ذلك تداخل بينهم بعض شياطين الانس وتعطل اتمام المشروع فتولى انجازه بطريقة حاسمة رجل الحزم والعزم الوزير خير الدين اذ كلف المجلس البلدي بامره وهذا بدوره ناط بناءه مقاطعة بعهدة من تحمل بذلك من لزامة البناء الاروباويين ولما تم بنـاء السوق انتصب به جماعة من اعيان التجار المسلمين ليوازنوا به تجارة سوق الباي التي كانت حوانيتها بيد اليهود فكانت متاجرهم في البداية دالجةولكنهم ما لبثوا حتى رجعـوا القهقرى لاسباب مالية يطول شرحها فمدت الخيبة جناحها على ذلك المشروع الاهلي وغلقت السوق وحوانيتها الى ان جاءت دولة الحماية واقامت مقامها ادارتي الاشغال العامة والمالية اثر انتقال دواوين الحكومة من باردو للحاضرة

وفيما بين عام ١٢٩٢ وعام ١٢٩٤ تكرر نزول الضيوف من الامراء الاروباويين بدار الباي تارة بالسكنى وتارة بحضور مادبات اكرام اقيمت لهم بها عن اذن سمو الباي

وفي شوال ١٢٩٥ وفد على تونس شريف وزان مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج العربي من ذرية مولاي الطيب صاحب الطريقة المشهورة فانزله الباي في ضيافته بسراية المملكة وقلده الصنف الاكبر من نيشان الافتخار وفي مدة اقامته بالسراية زاره قنصل فرانسا وغيره من نواب الدول بتونس مما قامت بنشره مفصلا صحيفة الرائد التونسي ووقفت بالصحيفة ٧١ من كناش للشيخ الوالدعلى نص مكتوب خصوصي من السلطان عبد الحميد خان مؤرخ في ١٠ قعـدة ١٢٩٥ خاطب بـه المشير محمد الصادق باي في اعلامه بتوجيه باخرة عثمانية مع الاميرالاي سليمان بك لحمل عائلة الوزير خير الدين من تونس للاستانة وان الرسول المذكور انزله سمو الباي بسراية المملكة مـدة اسبوع وكان المصاحب له اثناء اقامته بدار الباي المعين الاميرالاي ابراهم باش بلهوان

ولم يقع العثور بعد هذه الضيافة على اسماء من نزل بالسراية من الضيوف في الثلاثة الاعوام التالية اللهم الا سكنى الجنرال لمبير بها في اواخر حجة ١٢٩٨ كما سيأتي الكلام عليه

وقد ورد فيما تقدم ذكر زاوية سيدي الشريف المجاورة لخزنة المكاتيب المنتصبة بالطابق السفلي من السراية فهذه الزاوية فيما يقال اشار المكلف اذ ذاك بالوقوف على اشغال بطحاء القصبة بازالتها ونقل رفاتها لمقبرة السلسلة واتفق ان ذلك المامور ادركه اجله في تلك الاثناء بحادث عرضي فتشاءم الناس من ذلك وراوه عقابا للمساعي المبذولة في محو الزاوية المشار اليها ولم يمسها بعد احد بسوء وما أشبه هذه القصة بنظيرتها قريبة العهد المتعلقة بقبر الفرعون المصري توت انخ أمون الذي كشف عنه احد علماء الآثار من الانكليز بوادي الملوك في سنة ١٣٤١ (١٩٢٢ للميلاد) واتفق ان لسعته ذبابة عند دخوله للرمس الفرعوني فسم دمه ومات بعد يومين من تلك اللسعة والتاريخ يعيد نفسه كما هو مقرر معلوم . وفي الشهور الاولى من انتصاب الحماية سكن بسراية المملكة الجنرال لمبير حاكم قلعة تونس وهو اول من مثل الدولة الحامية بالمشاركة في موكب المولد الشريف حيث صاحب سمو الباي محمد الصادق في ١٢ ربيع الانور ١٢٩٩ من السراية الى جامع الزيتونة وابتداء من العام التالي صارت هذه المشاركة من متعلقات الوزير المقيم فكان المسيو كمبون هو المصاحب للمولى علي باي عند خروجه لمولد عام ١٣٠٠ وعلى هذه القاعدة استمر العمل بها الى اليوم ولما وقع احداث الكتابة العامة لاجراء الرقابة الفرنساوية على الادارة التونسية باشروا في منتصف ربيع الاخر سنة ١٣٠٠ نقل دواوين الحكومة التونسية من باردو للحاضرة لنصبها بصفة قارة بسراية حلق الوادي التي احدثها احمد باي آخر مدته وفي رمضان بسراية المملكة بالحاضرة حيث هي الآن وعنها تفرعت بقية الادارات الموجودة لهذا العهد منها ادارة الحرب وادارة الامور العدلية ومجالسها والمطبعة الرسمية التي كانت نفسها اسطبلا تابعا للسراية في العهد القديم وادارة المحافظة وكان مكانها قهوة الاتراك في عهد الدولة المرادية وزيد على ذلك ابنية الكتابة العامة وكان حولها بئر عميقة من عمل الاقدمين فجعلوا دار الطباعة خزنة عمومية لمحفوظات الدولة وبنوا فوقها وفوق البئر وما حولها اقسام الكتابة العامة الشامل نظرها للقسم الاول الذي ابقي مركزه بمحلات السراية الملكية حيث كان هو صلة الوصل بين الكتابة العامة وبين الوزارة الكبرى وهذه مركزها بالسراية العامرة ومن وقت هذا الازدواج بين القديم والجديد نزعت من سراية المملكة صبغة الضيافة التي كانت متلبسة بها في الدور القديم ولم يبق من مظاهرها الا المادبة الملكية التي كان سمو الباي يقيمها ليلة المولد الشريف وليلة ٢٧ رمضان ويلوح ان هذه المادبة من محدثات المشير احمد باي لانه هو اول من رتب الاحتفال بموسم المولد النبوي ولم يكونوا يحتفلون به قبله اللهم الا ما اعتادوه من عهد

الدولة الحفصية من قراءة بردة الشيخ البو صيري بكتاتيب تعليم القرآن الكريم فرتب المشير احمد باي في عام ١٢٥٧ حفلة عسكرية نهار المولدكما هو جار لهذا العهد ورتب المبيت بسراية المملكة لاحياء تلك الليلة اما المادبة التي تقام ليلتئذ بالسراية فان اغلب الوانها كان يوتى بها من ديار الوزراء واهل الدائرة الملكية يتنافسون في ذلك ومن يحرز منهم قصب السبق يحتفظ بحساب ايام العام ولياليه ليتدارك ما فاته في الموسم التالي ولا خلاف في ان المشير محمد الصادق باي هو الذي وسع في حفلة ليلة المولد وليلة ٢٧ رمضان وكساها حلة الفخامة والجلال فقد رايت في بعض التقاييد ان مصروف مادبة عشائه ليلة مولد ١٢٨٩ بلغ الى ٦٩٠٠ ريالا وهو مبلغ عظيم بالنسبة لذلك الزمان

وكان كاسلافه يقضي تلك اللية بسراية المملكة ومبيته بالبيت المطل على القصبة وعلى قياسه جرى عمل اخيه المولى علي باي في مبادي ملكه وكان يعقد مواكبه الهامة بالبيت المشار اليه وبه تلقى زيارة مالك البلجيك ليوبلد الثاني وزيارة الكثيرين من وزراء فرنسا منهم وزير المعارف مسيو بوانكاري الذي تقدم فيما بعد لرءاسة الجمهورية وكان قدومه للمشاركة في حفلة فتح مرسى تونس لسير السفن (١٣١٠)

ولما قدم على التوالي لزيارة تونس اصحاب الفخامة رؤساء الجمهورية الفرنسوية اقيمت لكل منهم مادبة ملوكية فاخرة بسراية المملكة آخرتها الوليمة السنية التي اقامها سيدنا ومولانا الملك الموجود متع الله ببقائه الوجود بمناسبة قبوله لفخامة مسيو دومرق في عام ١٣٥٠ وفي سنة ١٣٣٠ اكتشفوا على تداعي بسقف صحن العلو الجديد واستقر الراي على هدمه ولما شرعوا في ذلك وجدوا ان بقية السقوف كانت متداعية ايضا فاضطروا لهدمها وفي جملتها سقف البيب المطل على بطحاء القصبة والبيت نفسه لظهور سقوط في جدار الطاق السفلي القديم المقام عليه البيت المذكور وهذا البيت هو الذي كانت تقام به امتحانات الجامع الاعظم في صائفة كل عام وكان مناخها جامع الزيتونة في الدور القديم فلما تولى المستعرب مسيو ماشويل مديرا للمعارف سعى في نقل الامتحانات المشار اليها من الجامع لدار الباي ظنا منه فيما يقال ان جعلها خارج الجامع يسهل له الحضور لجانب المشائخ النظار بمجلس الامتحان وفعلا قدم ذات يوم لمجلس الامتحان وكان المشائخ في الاختبار والجميع بحال جلوس فوق فرش ارضية (جرازي) فوجم المدير عن خلع نعاله واكتفى باشارة السلام على الشيوخ بيده وهو واقف بالباب وحضراتهم حيوه بالمثل من مكانهم ولم يزيدوا على ذلك شيئا فكان هذا الحادث هو المانع لفتح باب مشاركة مسيو ماشويل في امتحانات جامع الزيتونة عمره الله

وفي خلال هذه العشرين سنة الاخيرة دار الحديث مرارا في شأن تجديد ما وقع هدمه من سراية المملكة واصلاح ما بقي منها متداعيا للسقوط وكلما عزموا على انجاز تلك الاشغال الا وكانت حالة الميزانية عثرة في ذلك السبيل وبقي بمحفوظي ان الاشغال المذكورة كان وقع تقديرها بنحو ثلاثة ملايين في مدة الحرب ولا شك انها اليوم اكثر من ذلك بكثير ويلوح ان دار الباي سيطلع نجم شبابها من جديد في الاجل

تراجم عظمائنا

الشيخ صالح الكواش

بقلم العالم النحرير الشيخ سيدي ابراهيم النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

للتاريخ نواح متعددة وجهات كثيرة . وقد اختلفت اتجاهات المؤرخين فمن مؤرخ جعل همه حياة الملوك بضبط اوقات ولاداتهم وولاياتهم ووفياتهم وأهم ما وقع في زمانهم من الحوادث العظيمة من حرب وصلح وبيان سيرتهم واسماء وزرائهم وقضاتهم وغير ذلك . ومن مؤرخ همه في حياة الامم الاجتماعية والسياسية والعلمية وبيان اطوارها ارتقاء وانحطاطا وما بلغت اليه من المدنية . ومن مؤرخ بذل جهده للتنقيب عن حياة العظماء والنوابغ في السياسة والعلم وبيان آثارهم واعمالهم وفضلهم على الحياة العامة . من ملك اقام قسطاس العدل بين الرعية واعان على نشر العلوم وتعمير البلدان وخلق من امة ميتة شعبا حيا فتيا وفتح ممالك وامصارا جعلها مجالا فسيحا لانتشار شعبه وتعمير ارضها وبث المدنية بين ربوعها . ومن عالم نفع الناس بعلمه وبثه في صدور الرجال عامل بما علمه الله قوام بحقوق الله لا تأخذه في الحق لومة لائم آمر بالمعروف ناه عن المنكر لا يضره من خالفه حتى ياتيه اليقين . ومن مخترع كان له على الانسانية الفضل العظيم والمزية الكبرى باختراع نفع بـه الهيأة الاجتماعية وأدى به خدمة نحو البشرية . ومن اديب كبير أيقظ شعورا وأثار احساسا فبعث امة من مرقـدها وبث فيها روحا بعد موتها . ومن كاتب بليغ وخطيب مصقع كان لنفثات قلمه الاثر الفعال والصدى الذي تتجاوب به الاصقاع واهم هذه البحوث التاريخية البحث عن حياة الامم ارتقاء وانحطاطا بالكشف عن حياتها الاجتماعية وحياتهـا السياسية وحياتها العلمية ومبلغ مـا وصلت اليه في جميع ادوارها واسبـاب ارتفاعها

القريب لانهم اعتبروا لها في ميزانية العام الفارط مبلغا معتبرا من المال لفحص ابنيتها الموجودة باجمعها مع تحرير خريطة هندسية لما تحتاج اليه من التجديد وقد استغرقت هذه الاشغال التحضيرية عدة اشهر وتمت على الـوجه الاكمل ويقال ان تلك الاشغال لما كانت ذات اهمية عظيمة لا بد من تقسيمها على عدة سنين لان ميزانية عام واحد ليس في وسعها التحمل بتلك الاكلاف المعتبرة دفعة واحدة ولاجل ذلك خصصوا قسطا اولا بمقدار مليون بميزانية هذا العام للشروع في البناء المرغوب ليتم انجازه في الاجل المحسوب

ونختم هذه النبذة بذكر الاسماء التي عرفت بها هذه السراية في ادوار حياتها المديدة فقد كانت في مباديها تسمى دار حمودة بـاشا ثم اطلقوا عليها اسماء اخرى منها دار القصبة ودار الباي ودار الضيوف ودار المملكة وسراية المملكة وهذا التعريف الاخير هو اسمها في النصوص الرسمية الحديثة واول ما استعملوه في عهد المشير محمد باي اثناء حوادث عهد الامان واما عند الافرنج فانها لا تعرف بغير اسم دار الباي، وهذا مسك الختام وعلى القاري السلام

محمد بن الخوجة

وسقوطها ولكن البحث عن حياة الرجال وما لهم من الآثار والمناقب هو النور الذي يضيء طريق الباحث عن تاريخ الامم . فما عظمة الامة الا برجالها النوابغ في العلوم والسياسة والحروب . وقد اشتهر في تاريخ تونس كثير من رجال العلم والادب والاجتماع والسياسة يجب على كل مريد للبحث عن تراثنا العظيم وتالدنا القديم أن يتتبع ويستقصي اخبارهم ويستنتج من جميع ذلك ما كان عليه سلفنا في كل طور من اطواره من عظمة وضدها وارتقاء وانحطاط . ولذلك عزمت على امداد المجلة الزيتونية المباركة بحياة بعض عظمائنا الذين كانت لهم مزية خاصة حفظها لهم التاريخ كانت هذه الفكرة تختمر في نفسي فزارني بعض افاضل الادباء الباحثين وجرى بيننا حديث ذو شجون انتهى بنا الى ذكر العلامة الكبير الشيخ صالح الكواش فذكرت له شيئا من اخباره وما كان له من الصراحة في القول والقيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم تهيبه لاصحاب الولايات والنفوذ . فرغب في ان انشر شيئا من ترجمته في المجلة الزيتونية فوعدته بذلك ولكن الشواغل الكثيرة حالت دون تحقيق هذه الامنية في وقتها ولما سنحت الفرصة بادرت الى كتابة هذه الكلمة وان كانت دون مقداره . لا تفي باستقصاء جميع اخباره . فاقول مستعينا بالله

صله ونشأته

هو الشيخ صالح بن حسن شهر الكواش . ولد بتونس سنة ١١٣٧ واصل جده من الكاف يتصل نسبه بالشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش المغربي الذي يتصل نسبه بسيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما . وولد ابوه بالحاضرة وكان يشتغل بالفلاحة وكان فرانا ايضا قرب زاوية سيدي المشرف . والكواش بلسان اهل تونس هو الفران ولا ادري المناسبة بين المعنى الوضعي للكواش والمعنى المتعارف . فالكواش لغة هو كثير الفزع . من كاش بمعنى فزع

طلبه للعلم

حفظ القرآن صغيرا وتعلقت همته بطلب العلم وكان ابوه يمنعه من ذلك ويريد ان يرغمه على الاشتغال معه بالفرن وربما اوكل اليه رعايته فيترك الفرن ويذهب لقراءة العلم فإذا جاء وبخه وربما ضربه وحجر عليه العود للقراءة فلا يلبث ان يعود حتى سئم ابوه من ذلك فتركه ونفسه ومات ابوه وعمره اربع عشرة سنة فاقبل على طلب العلم بشغف متناه وتلهف شديد . ووجد بغيته من أعلام ذلك العصر فقرأ على العلامة الكبير الشيخ محمد الغرياني والعلامة الصالح الشيخ عبد الكبير الشريف والقاضي العادل الشيخ حمودة الريكلي والشيخ احمد اللعلاع والعلامة الطائر الصيت الشيخ محمد بيرم الاول وغيرهم من اعلام ذلك العصر ولم يمض على ابتداء طلبه للعلم الا بضع سنوات حتى برز على اقرانه وشاع ذكره مع صغر سنه

تـدريسـه

انتصب للتدريس بجامع الزيتونة فهرع اليه الطلاب وانتفعوا به أيما انتفاع وتخرج عليه جماعة من العلماء كالعلامة الكبير الشيخ اسماعيل التميمي والعلامة الصالح الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي وغيرهما ممن يطول بنا تعدادهم. وكان اية الله في التحقيق والحفظ مع ذكاء وقاد . كاد ان يحفظ كل ما قرأه حتى انه كان يقرئ المطول وشرح الزرقاني على المختصر يمر على محل الدرس بدكان بعض الكتبيين مرورا خفيفا ثم يدخل جامع الزيتونة فيأتي بتحقيقات عجيبة وينقل من حواشي المطول ما مر على رؤيته له السنون العديدة وكان إخصائيا في المطول لا يقدر أحد من علماء عصره على مجاراته فيه

امتحـانه

امتحن الشيخ رضي الله عنه محنتين . اولاهما : اضطراره للخروج من تونس مختفيا خوفا على نفسه وذلك أن البلاد التونسية كانت تعيش مدة الباشا علي مغتصب الملك من عمه المولى حسين بن علي بحت كابوس شديد من الضغط بحيث إن الناس كانوا لا يأمنون على انفسهم ويكفي الامير أن يتهم عنده الانسان بورود مكتوب عليه أو سلام من أبناء عمه الملتجئين الى قسطنطينة فيأمر بشنقه أو نفيه أو سجنه دون تبين . وقد وشي بالشيخ الى الباشا بأن له علاقة بأبناء عمه فعزم على الانتقام منه فعلم الشيخ بذلك فلاذ بالاختفاء وخرج متنكرا ينتقل من بلد الى بلد حتى وصل طرابلس ثم ذهب الى ازمير فالقسطنطينية واستقر بها ولقي بها حظوة كبرى واجتمع بشيخ الاسلام بها وبعلمائها وجرت بينهم مذاكرات علمية ظهر فيها فضله واستقر بها زمانا لقي فيه من أهلها كرامة موفورة وحصلت يده على ثروة وعزم على الاستقرار بها نهائيا ولما دالت دولة الباشا علي وقدم الحاضرة ابناء المولى حسين بن علي وولي الامر أكبرهما المولى محمد الرشيد بعث الى الشيخ باسلامبول يستقدمه ويشوقه الى وطنه فحن اليه وحب الوطن من الأيمان) فقدم تونس عن كره من علماء اسلامبول واكرم مقدمه المولى محمد الرشيد وانتفع به خلق كثير

اما محنته الثانية فهي ان بعض الفسقة وشي به الى المولى علي باي ابن المولى حسين بن علي مدة ولايته ونسب اليه امورا هو منها بريء فنفاه الباي الى منزل تميم ثم ندم على ما فرط منه وتبين كذب الوشاية فأسرع الى استقدامه بعد شهر من نفيه ولما وصل الحاضرة استقدمه لداره وعظمه وطلب منه أن يعفو عنه معتذراً بان بعض الافاكين نقل اليه ما غير قلبه عليه فامتنع من مسامحته وقال له إن الله ولاك امورنا فعليك بالتثبت والله تعالى يقول : (يـا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وأنت لم تتبين فلم يزل يلاطفه ويستعطفه حتى عفا عنه

تـآليـفـه

شرح الصلاة المشيشية بـاقتراح من شيخ الاسلام بـاسلامبول شرحا عجيبا أعجب به علماء الترك غاية الاعجاب . وشرح قصيدة الامير محمد الرشيد باي القافية التي مطلعها :

امولاي إن النفس لما تعودت جميلك راحت بالفواضل تنطق

شرحا مطولا أتى فيه بالعجب العجاب من التحقيق اختصره العلامة المرحوم الشيخ احمد بن حسين كبير اهل الشورى المالكية

شعره

كان رحمه الله يقول الشعر الجد لكنه من الشعراء المقلين . ومن شعره يهنى الامير علي باي بموت يونس باي :

راحة الصب غيبة الرقباء حين زال الرقيب زال عنائي
فاذا أسعد الزمان محبا نزه القلب في رياض الهناء

الى أن يقول :

تونس الانس زال نقطك من اسـ ـفل فاحو علامة العلياء
ليس للغاصب الظلوم قرار بل يزال تحتما بالقضاء
ألوراثه سبيل الى الاخـ ـذ نعم هو ضامن للتواء
يا سليلا لغاصب رد منه مستحق لوارث الملكاء
فالذي منكم يعيش قليلا منشد الحال قولة الاشقياء
« ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء »
يا أميرا سما بحسن خصال ورقى همة على الجوزاء
هكذا تنقضي الاعادي بمحض الـ ـفضل لا بتكلف وعناء
خلد الله دولة الملك فيكم بالغا فضلكم عنان السماء

اخلاقه

كان رحمه الله شديدا في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم لا يهاب اميرا ولا وزيرا ولا صاحب شوكة يجاهر برأيه ولو أدى ذلك الى ما أدى . ولذلك امتحن . قال له الامير علي باي مرة يا ايها الشيخ : انك جمعت من العلم والدين ما تفرق في غيرك ولكنك لا تحسن السياسة . فقال إنا اعلم الناس بالسياسة ولكنك تريد ان تخالف الشرع وأجاريك على ذلك فاذا لم أجارك قلت اني لا احسن السياسة . ويروى انه دخل يوما على المولى حمودة باشا وقد مات ولده فوجده شديد الجزع عديم الصبر فقال له : ان الله ما بولدك ابتدا . ولا عليك اعتدى . فان رضيت فياحبذا . والا فعليك بذا او بذا . واشار الى جداري البيت فمري عنه وصبر واحتسب

ومن شدته في تغيير المنكر انه حضر يوما ختم بعض التلامذة لتجويد القرآن على العالم الشيخ حمادة ابن الامين استاذ علم القراءات في عصره فقرأ قوله تعالى : ما أغنى عنه ماله وما كسب . ولما اعاد الآية لاستيعاب اوجه القراءات اقتصر على قوله أغنى عنه ماله وما كسب . فصاح به الشيخ صالح وقال له : ان الله يقول : ما أغنى وانت تقول أغنى فقال له الشيخ حمادة ان اصطلاحنا اننا لا نعيد من الآية الا محل الحاجة في اختلاف القراء فشدد الشيخ صالح عليه النكير واصر الشيخ حمادة على رأيه واشتد بينهما النزاع وافترق المجلس على غير طائل . ورفع الشيخ حمادة امره الى الامير حمودة باشا فلم ينفعه ولم يجد من العلماء من يؤيده فانقطع الشيخ حمادة عن التدريس من ذلك الوقت ولم يعد اليه وانكر يوما على ايمة جامع الزيتونة التزام تاخير صلاة الظهر فلما علم بذلك العلامة الشيخ

عمر المحجوب امام الخمس قال : كيف ينكر الشيخ ذلك وقد نص الشاطبي على جوازه . فلما سمع الشيخ صالح قال : قولوا له يقلب الورقة يجد فيها ان ذلك جائز ما لم يتخذ عادة .

وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا راغبا عما في ايدي الناس لا يميل الى البذاخة في المأكل والملبس والمسكن . ولي مشيخة المدرسة المنتصرية والتدريس بها وكان من اوقافها دار حبس على شيخها فسكنها الشيخ مدة فتداعت للسقوط فذهب الى المولى حمودة باشا وقال له : ان الدار تداعت للسقوط وليس في مال الوقف ما يكفي لاصلاحها وطلب منه ان يصلحها من بيت المال . فقال له الامير : اشتري لك دارا تسكنها وتبقى لذريتك من بعدك والدار يصلحها وكيل الوقف من الفواضل فقال له الشيخ ليس من مكارم الاخلاق أن اسكن دارا زمنا فاذا تداعت اتركها واما ولدي فالله له من بعدي . وكان الامر كذلك وانتقل مدة الاصلاح الى دار تلميذه الشيخ محمد المسعودي ثم رجع اليها . وكان الوزير يوسف صاحب الطابع يحضر كل يوم بنفسه لمعاينة الترميم عناية بالشيخ . ولما توفي وولي مشيخة المدرسة تلميذه الشيخ محمد السنوسي الكافي صاحب نظم لفظ الدرر ضايق ولد الشيخ في سكنى الدار حتى انه طلب منه ان يمهله اياما ريثما يجد دارا يسكنها فلم يسعفه الشيخ السنوسي بذلك ولم يراع حق شيخه ولعله كان مضطرا لسكناها . وكان الشيخ شديد الحب لولده الشيخ محمد الذي اعتنى بتعليمه حتى صارت له رتبة علمية وولي العدالة . ومن شدة حبه له انه كان لا ينطق باسمه الا مقرونا بالسيادة فلا يقول الا سيدي محمد حتى جرى ذلك على ألسنة تلامذته فكانوا لا يذكرون اسمه الا كما يذكره الشيخ . ولكنه امتحن بعد أبيه واخر عن العدالة وضاق به الامر حتى سعى له الشيخ محمد بيرم الثاني في ارجاع امر العدالة له

وفاته

توفي الشيخ رحمه الله مساء يوم الاثنين سابع عشر شوال ودفن صبيحه يوم الاربعاء تاسع عشر عام ١٢١٨ . ورثاه كثير من الشعراء ومنهم العلامة الكبير تلميذه الشيخ سيدي ابراهيم الرياحي بقصيدة كتبت على قبره ودفن قرب ضريح الامام ابن عرفه جوار المغارة الشاذلية بالجلاز ونصها :

لمثلك من خطب تنوح النوائح	وترتاع في اغمادهن الصفائح
أريقت له دون الدموع دماؤنا	وشقت له دون الجيوب الجوارح
هو القدر المحتوم يلقاه سائح	ويرمي به في غامض الميم سابح
وأما وقد أودى الحمام بصالح	وقد عم ثلم في علا الدين واضح
هو العلم العلامة الفرد من غدا	ولا فرد في ادنى معاليه طامح
هو المنهل الفياض ينبوع علمه	بماء حياة بحره العذب طافح
امام الورى الشيخ الهمام الذي له	مآثر راقت في علاها المدائح
فتى كان اما فكره فهو معجز	ذكاء واما علمه فهو فاضح
حوى فكره كل العلوم بنقلها	ومعقولها نقل له وهو شارح
فمن لعلوم الدين من بعد صالح	إذا نابها خطب من الغير فادح
كوى مصرع الكواش اكباد اهله	ففي كل قلب من جوى الحزن قادح
حوى قبره مع ضيقه من علومه	رواسي قد ضاقت بهن الاباطح
حوى جامع العلم الذي انقاد لاسمه	اذا ما تلى من مشكل معلم جامح
فما غاب حتى ادبرت أنجم الهدى	وصاح بادبار المعارف صائح
وقال الورى قد مات علامة الورى	فأرخ (يموت العلم ان مات صالح)

الأدب

ذكرى المتنبي

حياة تنقضي والذكر حي — لعمري ذلك الامل العصي
فما كل النفوس تعيش ذكرا — ولا كل المدارك احمدي
فكم من أنفس نعيت وفاتت — وقد نسيت وما سكت النعي
حياة المرء في عطل ممات — وموت اخي الحجى عيش رضي
تمجده الروائح والغوادي — وتكبره الصبائح والعشي

❁ ❁ ❁

أأودى ذكر احمد بعد الف — تقضى او خبا الاثر السني
وغيد قريضه تختال عجبا — بقد أين منه السمهري
والحاض مراض فاتكات — يحاذر هول طعنتها الكمي
شدت ببهائها الدنيا وغنى — بها القمران والنجم العلي
فمال الدهر من طرب وأشجى — حلوم رجاله النغم الشجي
وحملت العهاد لها التحايا — فبلغها لروضتها الولي
ولاحت في سماء الشعر نورا — به يستوضح السبل الغوي
وعم المشرقين سنا فاضحى — لها في كل ناحية نجي
بدائعها لآل الضاد وشي — وروعتها لمنطقهم حلي
ومعناها لاهل الشعر وحي — وسحر بيانها لهم رئي
معين بلاغة غدق روي — وروض فصاحة عبق شذي
ودأماء بها الشعراء غاصت — وهل غير اليتيم هناك شي
محاسن نسجها غرر غوالي — يكللها الجلال اليعربي
تلألأ مثل ازهار الروابي — على وجناتها در ندي

❁ ❁ ❁

لاحمد منطق في الشعر فرد — عصامي البلاغة بابلي
براعته لها القدح المعلى — وحكمته لها الشان العلي

ترى ممدوحه يهتز عجبا كمن قد ناله مس خفي
وقد مدح الغطارف فاعتلاهم جلال من مدائحه سني
يطول على الملوك اذا أتاهم فيعصمه حجاه العبقري
وهل غير الحجى كنف ومنجى اذا فلق الظلام المشرفي
وهل ان السيوف تفيد شيئا اذا قدح الزناد الالمعي
تلمس شعر احمد كل سمح تناخ بظل مغناه المطي
اتى حمدان ممتدحا قوافي فتى برا له الخلق الرضي
تصان بسيف دولته المعالي ويخشى بأسه الحدث القسي
لسان المدح في علياه طلق وصوت الشعر من نعماه حي
تزاحم منهما ملك همام وتواق الى العليا أبي
فذا كلف بنيل الملك صب وذاك بما سوى حلب سخي
فغادر أحمد حلبا وولى وبين ضلوعه قلب وفي
وام النيل تسرعه الاماني ويغريه المعين الكوثري
فألفى ملك كافور عظيما أريكته الكنائن والقسي
وألفى مصر باسمة المحيا تتوجها السعادة والرقي
فزاد طموحه للعز طولا واغراه الدهاء الاعجمي
وظن بوعد كافور وفاء وذلك لو درى ظن فري
اما قد اوجس الاستاذ خوفا وما دحه بمزعمه نبي
تحدى بالمدائح مادحيه وبين غضونها شتم خفي
قضى بالنيل اياما ولما جفاه الحظ والعيش الهني
ولاقى من لدن كافور مطلا وأضوى لبه الامل القصي
هجا مصرا وصاحبها بشعر له جفن العلي هطل دمي
وغادر ساحة الهرمين يحدو ركائبه الحسام المشرفي
كذاك قضى الحياة مع الاماني مجد في تطلبها جري
يكلل هامة الدنيا بشعر يبذ به النظام الجوهري
ومن قد خلف الآيات تتلى على سمع البرية فهو حي

الطاهر القصّار

الحركة العلمية والادبية

الاحتفال برأس العام الهجري

اقيمت حفلة كبرى بمناسبة دخول العام الهجري الجديد شارك في القيام بها جمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبيبة الزيتونية وجمعية الرابطة الادبية . وكانت تحت رئاسة الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس تحرير المجلة الزيتونية . وقد وقعت اثر صلاة العشاء من يوم السبت في ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٥ (الموافق ليوم ١٣ مارس سنة ١٩٣٧) بجامع ابي الخيرات يوسف صاحب الطابع .

افتتحت الحفلة بتلاوة القرآن العظيم . ثم وقف رئيس الحفلة فالقى مسامرة بسط فيها القول عن تاريخ الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام . وتعرض لما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشدائد في تبليغ دعوة الاسلام من مشركي العرب وكفار قريش الذين قابلوا تلك الدعوة بالمقاومة الشديدة . والاصرار على الكفر . والتفنن في اساليب المقاومة . فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك كله . وقابله بصدر رحب وعزيمة صادقة في التوكل على الله . والاعتماد عليه . حتى صدق الله وعده . ونصر عبده . ونشرت كلمة الله في جميع البقاع . وانتشر دين الاسلام . ودخل الناس فيه افواجا . ثم بعد هذا الاستعراض التاريخي تعرض لما ينبغي ان يستفاد من ذلك من العبر . التي من اهمها استصغار المسلم لكل ما يلاقيه من الاذى في سبيل الدفاع عن دين الاسلام . مع بذل الجهد في نشره وبيان فضائله للناس ولو ضحى المسلم في سبيل ذلك بنفسه وما له وولده . (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) . وبعدما انتهى من مسامرته اعطيت الكلمة لبقية السادة الخطباء والشعراء فالقى كل واحد منهم ما يناسب المقام مع الاجادة وحسن الاختيار وكانوا على الترتيب الآتي : محمد الصادق بسيس (خطبة) محمد الغربي (خطبة) رشيد ادريس (خطبة) الصادق ابن عبد الحميد (خطبة) علي البلهوان (خطبة) الاخضر السائحي (قصيدة) الطيب بن عيسى (خطبة) الطاهر الباجي (خطبة) . ولما انتهى الخطباء وقع التوجه الى الله والتضرع اليه في بيت من بيوته ان يجعل هذا العام الجديد عام رغد ورخاء وسرور وهناء . وان يكشف عنا هذه الضائقة الكبرى التي اناخت بكلكلها على البلاد التونسية وان ينظر الى هذا القطر والى سائر اقطار المسلمين بعين لطفه ورحمته . انه هو الجواد الكريم الرؤوف الرحيم .

احتفال جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بالهجرة

ثم ان جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين اقامت احتفالا آخر بالهجرة في يوم الخميس ١٢ محرم (الموافق ليوم ٢٥ مارس بمقر الجمعية الخلدونية . وقد كانت حفلة رائقة حضرها بعض المشائخ المدرسين بالجامع الاعظم وكثير من طلبته وغيرهم من الفضلاء والادباء . وقد تداول فيها الخطابة نجباء من تلامذة الجامع الاعظم الجزائريين فاجادوا وأحسنوا وشارك فيها بعض علماء الجزائر بارسال كلمات القيت في تلك الحفلة بالنيابة عنهم ووقف في آخر الحفلة الشيخ محمد المختار بن محمود فارتجل خطابا اظهر فيه ابتهاجه بهاته الحفلة وبيراعة الذين تداولوا القول فيها . واثنى على الطلبة الجزائريين لما تحلوا به من الحزم والعزم وحسن التربية . وقد علمنا ان الجمعية ستطبع جميع ما القي في هاته الحفلة في نشرة خاصة تخليدا لهذه الذكرى وتسجيلا لما قامت به من الاعمال . ونحن نشكر الجمعية المذكورة و نثني على اعضائها وعلى رئيسها الشاب النجيب السيد الشاذلي المكي . ونرجو لهم من الله الاعانة والتوفيق .

مجلة شمس الاسلام

تعزز جانب المجلة الزيتونية بمجلة اخرى من نوعها تعمل لبث الفضائل ومكارم الاخلاق . وتنشر محاسن الدين الاسلامي وفضائله . وتنير حركة النهوض الفكري مع التقيد بقواعد الدين والسير على ضوء مباديه ، وتعمل لمقاومة كل حركة يظهر منها الزيغ والالحاد والتمشي مع الهوى

تلك هي مجلة (شمس الاسلام) لصاحبها ورئيس تحريرها حضرة العالم الجليل الشيخ محمد الصالح بن مراد الاستاذ بجامع الزيتونة

ومن يعرف هذا الشيخ المفضال وما جبل عليه من الصراحة والاستقلال بالرأي وصدق العزيمة وواسع النظر يحصل له اليقين بما ستكون عليه مجلته من الرقي في اسلوبها وانتقاء مواضيعها وجمال تبويبها .

وقد صدر العدد الاول منها في غرة شهر المحرم المنصرم واطلعنا عليه فوجدناه مطابقا لما توقعنا ان يكون قبل صدره . فهو مفعم بالمواضيع المفيدة التي تهم كل من يطلع عليه . فنحث عموم القراء على الاقبال على هاته المجلة الراقية والحرص على مطالعتها . ونرجو لصاحبها العلامة الكبير مزيد الاعانة ووافر النشاط .

جريدة (الشورى) ترتدي ثوب (الشباب)

كانت جريدة الشورى تقوم بعمل عظيم لا تكاد تضاهيها فيه أية جريدة اخرى ، فقد كانت منبراً حراً ، ومجالا واسعا لخدمة القضية العربية والدفاع عن العرب في مختلف الاقطار والامصار . فكنت اذا تقرأها لا تشعر بانها جريدة تصدر عن بلاد خاصة ، بل يمكنك ان تنسبها لاي بلاد شئت من البلدان العربية ، والمسائرون للحركة التونسية يعلمون ذلك اكثر من غيرهم ، فقد كانت جريدة الشورى تنشر عن تونس اكثر مما كان يمكن نشره في الجرائد التونسية في بعض الاوقات ، حتى ان التونسيين لم يطلعوا على كتاب الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي الفه عن تونس الا فيها

وما ذلك الا لما جبل عليه صاحبها ومؤسسها حضرة الكاتب الاديب السيد محمد علي الطاهر من التفاني في خدمة القضية العربية والاخلاص في الدفاع عنها ، فمن اجل ذلك استاء الناس وضاقت منهم الصدور ، عند ما تعطلت جريدة (الشورى) عن الصدور ، وذلك في عام ١٣٥٠ واضطر صاحبها الى التباعد شيئا ما عن ميدان الصحافة ، ولكن ها هو اليوم يرجع لاصدار جريدته من جديد ، متحلية باسم (الشباب) الذي استعاره من صديقه الكاتب الشهير محمود عزمي ، ونحن نتفاءل بهذا الاسم خيراً لانه يشعر بان جريدة الشورى سيعود لها شبابها ، وتكون كما كانت عليه من قبل او احسن ، وفعلا قد صدر العدد الاول من هذه الجريدة مؤرخا بيوم الاربعاء ٦ حجة سنة ١٣٥٥ وفي ١٧ فيفري سنة ١٩٣٧ واتصلنا به ، وبعد ما اجلنا فيه الطرف وجدناه مفعما بالمقالات المفيدة ، والتحارير الرفيعة ، وموشح الصدر بمقالة لامير البيان شكيب ارسلان عالج فيها مسالة الاسكندرونة وخسران صفقة العرب والترك فيها ، ونحن نرجو لهاته الجريدة توفر اسباب الحياة ، وان يتسع مجالها كما اتسع من قبل ـ لخدمة القضية العربية ونحرض قراءنا على الاعتناء بمطالعتها ، والمسارعة الى الاشتراك فيها ، وعنوانها لا يزال هو العنوان القديم :

(شارع عبد العزيز رقم ٣٠ بالعتبة الخضراء بالقاهرة)